

# W ~uF ' WO dF ' WUKL\* ' w W d ( ' uBF ' ' WOlul W ' ~

## يوسف مختار الأمين

**ملخص:** يستعرض هذا البحث حقب العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية، من ناحية خصائصها الحضارية، ومسيرة التطور فيها، ودورها في انتشار بواكير الثقافة الإنسانية، في العالم القديم. ويقدم الباحث مراجعة نقدية للأبحاث الأثرية في هذا المضمار، وشرحاً لمكونات فترات العصور الحجرية الحضارية، من أدوات وفنون وغيرها من مؤشرات دالة على أنماط حياة المجموعات البشرية، وانتشارها المكاني في بيئات المملكة المتنوعة. ويبرز البحث الخصائص المميزة لتعاقب فترات ما قبل التاريخ في المملكة، مقارنة بالمناطق المجاورة، ومواضع القصور في معرفتنا بتفاصيل تلك الفترة، إذ يقدم بعض المقترحات لأبحاث مستقبلية ربما تعين في حل بعض الإشكاليات العلمية، التي أفرزها التناول التقويمي للمعلومات المنشورة.

**Abstract.** This paper presents a critical evaluation of the available literature on the stone ages of the Kingdom of Saudi Arabia. It discusses the cultural characteristics of the main prehistoric periods as they have been deduced from various archaeological components. The prehistoric cultural achievements of the prehistoric populations in the kingdom are compared with those of neighbouring regions. The paper shows the richness of the kingdom's Stone Age cultures as they are reflected in stone tools manufacture, rock art, dwellings and changing adaptive settlement systems, pointing at the same time to areas that need further clarification. It finally concludes with a summary of the cultural sequences along with a number of suggestions for future research.

### مقدمة:

الجيولوجي، الذي قامت به أرامكو بحثاً عن مصادر النفط (Zeuner 1954, Smith and Maranjian 1962,) تلى ذلك الأعمال (McClure 1971, Overstreet 1973) التي أنجزتها مؤخراً بعثات الوكالة العامة للأثار والمتاحف السعودية، وأبحاث عبد الله مصري من السعوديين (Masry 1974).

إن أعمال الأفراد المبكرة كانت تحكمها الصدفة، وما كُتب عنها كان -في الغالب- انطباعات عابرة، عن معثورات تعود للعصور الحجرية. وعلى النقيض من ذلك، نجد أعمال "هنري فيلد" (H. Field)، بدءاً من عشرينيات القرن الميلادي الماضي وحتى السبعينات منه، إذ هي أكثر تميّزاً بمنهجيتها، وقربها من الدراسات الحديثة، في هذا المضمار. وقد نشر فيلد

يعود الفضل في معرفتنا بفترة ما قبل التاريخ في المملكة العربية السعودية، إلى مجهودات الأفراد والمؤسسات العلمية، التي نتج عنها دراسات وملاحظات تاريخية، أنجزت في أوقات مختلفة، وعلى مستويات متعددة. فالاستكشافيون الغربيون زاروا الجزيرة العربية منذ أمد بعيد، وفي مطلع القرن الميلادي المنصرم سجل بعضهم ملاحظاته عن مواقع الأدوات الحجرية، التي وجدوها على السطح، أو الرسوم والنقوش الصخرية البدائية، المنتشرة في معظم أنحاء الجزيرة (Thomas 1932; Cornwall 1946). وتأتي بعد ذلك البعثات الأجنبية المبكرة، وأعمال الأفراد المهتمين بفترة ما قبل التاريخ، وأكثرهم ممن عملوا ضمن بعثات المسح

تلك المنطقة تحتوي على مادة أثرية مهمة تكشف عن تسلسل حضاري طويل ومشابه لأوروبا وشمال أفريقيا، بل أقدم منه زمنًا. ونال العصر الحجري الحديث وظهور القرى الزراعية، الحظ الأوفر في الدراسة العلمية المفصلة. وساد الاعتقاد لدى العلماء بأنها الأقدم في العالم، وهي التي أفضت إلى ظهور الديوليات القديمة بنظامها الإداري المركزي المعروف، ومنجزاتها الحضارية الشاملة، في مجالات الفنون والمعتقدات والاقتصاد والاجتماع (Redman 1974: 89-95). وكان المجتمع العلمي الغربي، عامة، والآثاريون، خاصة، ينظرون للشرق من هذا المدخل. وقد كان ذلك أحد العوامل، التي أسهمت في تأخر أبحاث ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية عامة، والسعودية على وجه التحديد. ولم يتغير الحال إلا بعد أن أجرت الوكالة العامة للآثار والمتاحف المسح الأثري الشامل، عندما وضعت أبحاث ما قبل التاريخ ضمن قائمة الأهداف الرئيسية له. ويضيف "مكلور" (McClure) في هذا الخصوص، أن طبيعة الصحارى القاسية حددت من دخول الباحثين عن الآثار؛ ولهذا ظلت الجزيرة العربية عمومًا منطقة غير معروفة، ومكانها شاغراً في مجالات الدراسات الأثرية والإثنوغرافية والجغرافية (McClure 1971: 1-18).

وقد كانت نتائج المسح الأثري الأولية، وتلك التي أبرزتها أبحاث عبد الله مصري الميدانية، في المنطقة الشرقية، حول حضارة العبيد، كافية لجذب انتباه المجتمع العلمي لأهمية العصور الحجرية، في المملكة العربية السعودية. وعلى الرغم من أن مدة المسح الأثري الشامل لم تكن كافية، لبلد في مساحة السعودية، فضلاً عن محدودية الدراسة العلمية للمواد التي جمعت، إلا أن هامشية المنطقة المفترضة لم تعد مقنعة لأحد. فالتنوع الطبيعي والبيئي في المملكة، خلال عصري البلايستوسين والهولوسين، ساعد في ظهور تطورات حضارية متفردة، تتجاوز أحياناً التجارب المعروفة في بقية أقطار غربي آسيا. ومن جهة أخرى، برزت على السطح أهمية الموقع الجغرافي للجزيرة العربية، من حيث دورها في انتقال الجماعات البشرية المبكرة، ومعها أقدم الصناعات الحجرية، من أفريقيا إلى أنحاء العالم القديم. كما دلّت على ذلك المكتشفات الأثرية الحديثة.

معلومات عن مواقع العصور الحجرية في المملكة في دوريات عالمية، مبدئياً رأيه عن التاريخ الحضاري لتلك الفترة، وأحوال البيئة القديمة، التي عاش فيها سكان الجزيرة. وقد اتسع نشاطه بعد ذلك عندما تعددت المكتشفات، التي نجمت عن أعمال أرامكو في المسح الجيولوجي، الذي بدأ في الثلاثينات من القرن الميلادي الماضي. ونشر مع مكلور وغيره وصفاً للأدوات الحجرية المكتشفة آنذاك، في الربع الخالي ووادي الدواسر وحضر الباطن، على سبيل المثال، حيث وضعوا لها تسلسلاً زمنياً، يمكن مقارنته بالبلدان المجاورة (Field 1951, 1955, 1960, 1973).

ويذكر في هذا السياق اهتمام هاري سانت جون فيلبي، بالنقوش والفنون الصخرية، وإشارته للعصور الحجرية في الربع الخالي (Philby 1933). كذلك، يجدر ذكر أعمال البعثة البلجيكية (ريمانز وليبنز وفيلبي) في بداية الخمسينات، بتسجيل الفنون الصخرية في وسط وجنوب غربي المملكة، وهي المادة التي درسها ونشرها "أناتي" فيما بعد في أربعة مجلدات (Anati 1968 Vol. 1: 3-4, 1971, 1974 Vol. 2, 3, 4). وعلى الرغم من أهمية هذه المعلومات في إثبات وجود مجتمعات العصور الحجرية في الجزيرة العربية، إلا أنها لم تتسرب إلى الأدبيات المنشورة عن تطور حضارات ما قبل التاريخ في الشرق الأدنى، بصورة مرضية. وقد كان الظن عند كثير من العلماء، أن دور الجزيرة العربية في تلك الفترة كان هامشياً؛ إذ هي لم تسهم في مجريات التطور الحضاري، خلال فترة ما قبل التاريخ، كما فعلت غيرها من بلدان الشرق الأدنى. وقد انصبّ الاهتمام من قبل الباحثين الأجانب حتى وقت قريب، على فترة ما قبل الإسلام، والكتابات العربية القديمة، كالنبطية واللحيانية والثمودية، وعلى آثار الممالك القديمة، من مبانٍ ورسوم صخرية. حدث هذا في الوقت الذي تعددت فيه أعمال البعثات الأوربية والأمريكية، التي كانت تنقب في مواقع الحضارات القديمة، في وادي النيل، وبلاد الشام، وبلاد الرافدين، والأناضول، وغيرها.

وخلال النصف الأول من القرن الميلادي الماضي، امتد الاهتمام بالبحث الأثري ليشمل العصور الحجرية، إذ اتضح أن

والتكوينات الصخرية والصحارى، تعد من أفضل المؤشرات لأحوال المناخ القديم (وزارة المعارف ١٩٩٩: ٤٥-٤٨؛ McClure 1971: 18-21).

وتشير الدراسات الجيولوجية والبيئية، إلى أن الجزيرة العربية -مثل غيرها من بقاع الأرض- تعرضت لتحولات مناخية مؤثرة، خاصة في الزمن الجيولوجي، الذي انتشر فيه النوع البشري (أواخر عصر البلايوسين وبداية عصر البلايوسين ٣,٥ - ١,٢ مليون سنة قبل الوقت الحاضر). ومن الثابت، أيضاً، تعاقب فترات مناخية جيدة، وأخرى جافة تقل فيها الموارد الطبيعية، ما يؤثر في حياة الإنسان والحيوان معاً. وبدأ انتشار الجفاف الحالي يعم بصورة تدريجية منذ الألف الرابع ق.م؛ ولكن هذا الوضع كان خاتمة لسلسلة طويلة من التاريخ الطبيعي في المنطقة. فإذا ما عدنا إلى الزمن الجيولوجي الأقرب إلى انتشار البشر في المنطقة، نجد أن الجزيرة العربية عاشت في أوضاع مناخية مطيرة، أدت لوجود غطاء نباتي، وتجمع حيواني من النوع الاستوائي المعروف في أفريقيا. وقد تكونت خلال هذه الفترة الأودية الكبيرة، التي تتجمع فيها مياه الأمطار.

كذلك، شهدت الفترة تكون صحارى الجزيرة عندما جرفت المياه الرمال إلى منطقة الربع الخالي الحالية التي كانت تغطيها مياه البحار في الأزمان الجيولوجية الأقدم. وفي العصر الجيولوجي التالي، أي عصر البلايوسين (الذي يقابله العصر الحجري القديم في التقسيم الحضاري)، خطا الإنسان أولى خطواته في التكيف على أحوال الطبيعة المتقلبة، من خلال تشكيل الأدوات الحجرية البسيطة وتطويرها، من حيث أشكالها وطريقة صنعها. كذلك بناء المأوى وكل ما يعينه في حياته، من استغلال لهذه البيئة ومواردها. ومما لا شك فيه، أن الجزيرة العربية كانت تتأثر - مثل غيرها - بتحولات المناخ الإقليمية والعالمية؛ فتعاقب العصور الجليدية، على سبيل المثال، في شمال الكرة الأرضية، يؤثر في مستويات مياه البحار. ففي الأقاليم الشرقية من الجزيرة العربية، كانت تتكرر ظاهرة ارتفاع مستوى البحر وانخفاضه، منذ نحو ١٢٠,٠٠٠ قبل الوقت الحاضر. وقد كان أكبر انخفاض له في الفترة ما بين ٧٠,٠٠٠ و ١٧,٠٠٠ ق.م، ليرتفع بعد ذلك.

وفي حديثنا عن تعاقب العصور الحجرية في المملكة وموادها الأثرية، سوف نتبع النظام والمصطلحات المتعارف عليها عالمياً، في تقسيم تلك العصور وتقاليد الصناعات الحجرية فيها، على الرغم من بعض الإشكاليات المتوقعة، التي تظهر عند تطبيقها، كما أشير إلى ذلك مراراً في تقارير الوكالة العامة للآثار والمتاحف. إن إيصال هذه المعلومات الجديدة للباحثين في حقل دراسات ما قبل التاريخ، يتطلب استخدام المناهج والمصطلحات المتعارف عليها، حتى نضمن تداولها، ومن ثم إدراجها ضمن الأدبيات الخاصة بفترة ما قبل التاريخ. ومع اتباع هذا الأسلوب فلن يُغفل أحد هذه الإشكاليات، بل سوف نتناول في هذا الاستعراض إمكانية تجاوزها من خلال طرح مقترحات محددة. وقبل الدخول في سرد تسلسل أدوار العصور الحجرية الحضارية، نُقدم نبذة مختصرة عن التكوين الجغرافي للمملكة، وملامح البيئة القديمة فيها، إذ يشكل ذلك الإطار الطبيعي، الذي تكونت فيه أولى محاولات الإنسان في بناء حضارته.

#### الظواهر الطبيعية والبيئية القديمة للمملكة:

للمملكة العربية السعودية موقع جغرافي إستراتيجي، فهي تربط بين قارات العالم القديم الثلاث: آسيا وأفريقيا وأوروبا. ومن ناحية المساحة، تمثل أربعة أخماس الجزيرة العربية، ذات التاريخ الجيولوجي الطويل. وهي تنقسم إلى منطقتين، هما: الدرع العربي (جبال الحجاز والهضاب الغربية المكوّنة من الصخور النارية)، والرّف العربي المكوّن من الصخور الرسوبية، التي تغطي تكوينات الدرع العربي في المنطقتين الوسطى والشرقية. وكانت الجزيرة العربية متصلة بأفريقيا، وانفصلت عنها منذ ما لا يقل عن ٢٠ مليون سنة. وقد وجدت تكوينات جيولوجية وعظام حيوانات متحجرة، تماثل تلك التي عرفتها، آنذاك، القارتان: أفريقيا وآسيا. وفي المملكة أقاليم تضاريسية متباينة، منها: السهول الواطئة، والجبال العالية، والهضاب المنبسطة، وبحار الصحارى الرملية، والأودية الكبيرة، ما يوفّر تنوعاً طبيعياً يشمل الحيوان والنبات والمناخ، في الماضي والحاضر. إن دراسة الظواهر الجيولوجية، التي تعكسها الجبال والأودية

يُقَسَّم العصر الحجري القديم، عادة، إلى ثلاثة مراحل متعاقبة: (أسفل، أوسط، وأعلى)، وذلك بناء على نوع الأدوات الحجرية وطرق تصنيعها، إضافة إلى ظهور بعض الخصائص الحضارية، التي ترصد لأول مرة في السجل الأثري (سوف نناقش هذه الخصائص عند استعراضنا لهذه المراحل وتسلسلها، في المملكة العربية السعودية).

#### أولاً- العصر الحجري القديم الأسفل:

تمثل هذه المرحلة المحاولات الأولى، لتكوين الجماعات البشرية من الصيادين وابتكاراتهم البسيطة، مثل: تشكيل الأدوات الحجرية وممارسة الصيد، وهي المرحلة التي يعود تاريخها في شرق أفريقيا إلى أكثر من مليونين ونصف مليون سنة. وتمثل هذه المرحلة تقليديين في صناعة الأدوات الحجرية، يرمز كل منهما لسمات حضارية متميزة عن الأخرى. كما أنهما يعدان نقطتين مهمتين في مسيرة التطور الحضاري الإنساني. وفيما يلي نقدم عرضاً لهذين الدورين الحضاريين المهمين:

#### أ- الصناعات الأولدوانية:

كان من أبرز نتائج المسح الأثري الشامل المتعلق بالعصور الحجرية في المملكة، اكتشاف مواقع تعود نسبتها لأقدم الصناعات الحجرية، التي عرفتها البشرية، وذلك في مكانين، أحدهما: بالقرب من قرية الشويحطية في الشمال؛ والثاني: في نجران جنوب غربي المملكة (الخريطة ١).

وكان اكتشاف موقع الشويحطية ملفتاً للمختصين، بسبب نوع الأدوات الحجرية وأشكالها البدائية، التي تمثل خطوة مبكرة في مراحل تقنية تصنيع الأدوات الحجرية. وهي تماثل أدوات مؤرخة وجدت في مواقع مشهورة في شرقي أفريقيا، يعود تاريخها لنحو مليون سنة، على الأقل. ولهذا السبب وجدت الشويحطية اهتماماً خاصاً، حيث أجريت دراسة ميدانية مفصلة، أعقبها أخرى جرى خلالها تحليل المعثورات ومقارنتها بمجاميع أدوات حجرية، من خارج المملكة. وكانت النتائج في جملتها تشير إلى استيطان بشري مبكر، ما شجع الباحثين على الاستمرار في البحث عن المزيد في مناطق

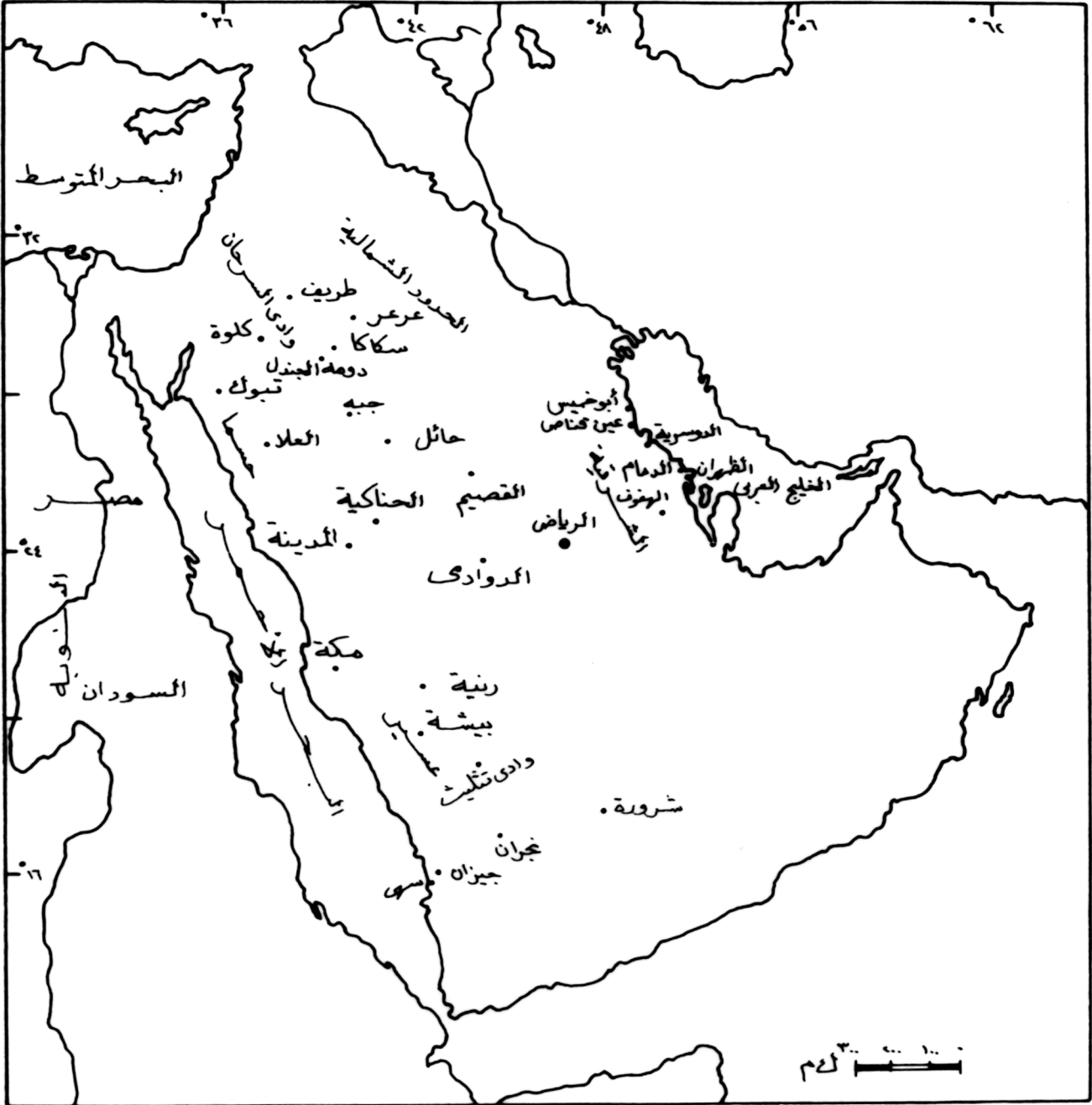
ويبلغ أعلى مستوى للبحر خلال عصر الهولوسين ما بين ٧,٠٠٠ و ٤,٠٠٠ سنة، قبل الوقت الحاضر. وقد حدث تنوع بيئي شديد في منطقة الخليج، كان له الأثر المباشر في أنماط استيطان الجماعات البشرية واقتصادها المعيشي، خاصة تلك الجماعات القريبة من السواحل.

وخلال هذه الفترة ظهرت الينابيع والبحيرات السطحية، داخل أراضي المملكة (Rice 1994: 69, 73-75). وهكذا، فإن المرحلة الأولى من عصر البلايوسين سادت فيها أحوال مطيرة، ونشطت الأودية الكبيرة، حيث انتشرت مواقع العصر الحجري القديم الأسفل في أكثر من مكان، كما سيأتي ذكره. عقب نهاية ذلك العصر، بدأ الجفاف يزحف تدريجياً، مع حلول فترات رطبة ومطيرة متقطعة، يدل عليها وجود البحيرات في الربع الخالي، في الفترة الممتدة ما بين ٣٦,٠٠٠ و ٢٠,٠٠٠، قبل الوقت الحالي، لتحل بعدها فترة جفاف شديدة، تعقبها بعد ذلك فترة مطيرة بعد ١٠,٠٠٠ لتستمر حتى ٤,٠٠٠ ق م، إذ تنتشر مواقع العصر الحجري الحديث في كثير من أرجاء المملكة، بما فيها صحراء الربع الخالي (Zarins et al. 1979: 10).

إن الأحوال المناخية، التي رُصدت من خلال تحليل الظواهر الجيولوجية، وترسبات البحيرات والمواد العضوية (مثل عظام حيوانات الأبقار الوحشية، والجاموس والغزال والحمار الوحشي والنعام... الخ)، تشبه إلى حد كبير تلك، التي سُجلت في بقية أنحاء الجزيرة العربية، بل تتماثل مع ما يقابلها زمنياً في الصحراء الكبرى وشمال أفريقيا (McClure 1994: 6-7).

إن المعلومات المستقاة من هذه المصادر المختلفة، على الرغم من محدوديتها، تتيح للباحثين وضع المكتشفات الأثرية ومراحلها الحضارية المختلفة، في الإطار الطبيعي على وجه التقريب، ما يسهل معرفة أنماط الاستيطان البشري، خلال العصور الحجرية؛ وكذلك الموارد الطبيعية المتوافرة في مناطق المملكة. وبناء على هذه الخلفية، نستعرض تعاقب العصور الحجرية في المملكة، ونناقش نتائج الأبحاث، التي أجريت حولها.

#### العصر الحجري القديم:



الخريطة ١: أقاليم المملكة والأماكن الرئيسية.

جمع كمية كبيرة من الأدوات المشحودة، التي يبدو من مظهرها القدم الشديد، وهي تشبه أقدم الأدوات الحجرية المعروفة في مناطق أخرى خارج المملكة. بلغ مجموع الأدوات ٧١٥ قطعة، ما يجعلها مناسبة لأغراض الدراسة الإحصائية المفصلة والمقارنة بمجاميع أخرى. ويضاف إليها ٨٠٢ قطعة أخرى من النوى والرقائق وكتل الحجر الناتجة عن عمليات تصنيع

المملكة المختلفة (Whalen et al. 1986: 94). وقد وجد الموقع المشار إليه (٢٠١ - ٤٩) بالقرب من قرية الشويحطية نحو ٤٥ كلم شمالي سكاكا، ويشمل منطقة واسعة تتكون من ستة عشر تجمعاً لأدوات حجرية فوق السطح، ونسبة لقرب هذه المواضع من بعضها فقد جعلها الباحثون موقعاً واحداً. وقد تمكّن فريق البحث، في نهاية أبحاثه في المنطقة، من

الفؤوس اليدوية في مواقع أخرى متزامنة مع الأولدواني المتطور (ب) (Gowlett 1984: 40-41). ويرى هويلن وآخرون تطابقاً كبيراً في الخصائص، بين أدوات الشويحطية ونجران وتلك التي تنسب للنوع الأولدواني المتطور (أ)، الموجود في موقع اولدفاي، أنف الذكر.

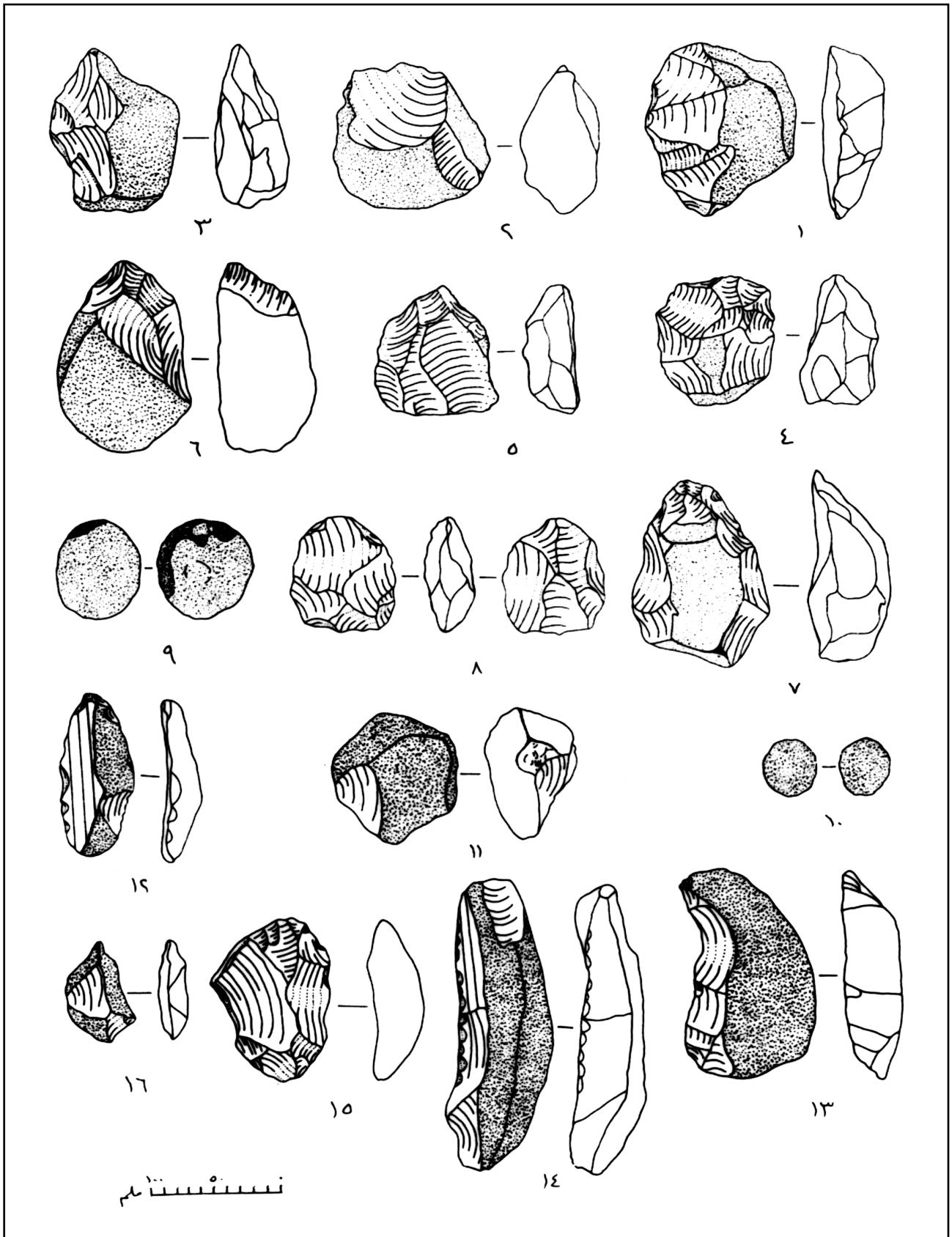
إن اكتشاف مثل هذه المواقع المبكرة في السعودية، على الرغم من قلتها، وعدم إمكانية تأريخها بصورة قطعية، أثارت قضايا بحثية أنثروبولوجية وأثرية مهمة، تتعلق بانتشار السلالات المبكرة خارج منطقة شرقي أفريقيا، حيث تشير الأدلة الأثرية هناك على أنها هي الأقدم. وبناء على ما هو متوفر للباحثين في الآثار السعودية، فقد اقترحوا وصول سلالة الإنسان منتصب القامة (Homo erectus) المعروفة، إلى الجزيرة العربية من خلال طريقين، أحدهما: عبر مضيق باب المندب، وتدل عليه أدوات موقع نجران المبكرة؛ الثاني: عبر صحراء سيناء، ويدل عليه ما وجد في موقع الشويحطية وموقع العبيدية في جنوبي فلسطين، الذي يؤرخ إلى نحو مليون أو أكثر بقليل (Whalen et al. 1989: 69-73).

إن هجرة السلالات البشرية المبكرة من أفريقيا، إلى بقية أنحاء العالم القديم، ظلت موضوعاً مؤرقاً للباحثين، في الأنثروبولوجيا والآثار لفترة طويلة، وذلك بسبب قلة المكتشفات المؤرخة علمياً، من جهة، وخلو بعض المناطق منها تماماً، حتى الوقت الحاضر، من جهة أخرى. فعلى سبيل المثال، نجد أن الاكتشافات الحديثة في شرقي آسيا تمدنا بتاريخ أقدم أدوات حجرية، إلى ما يقرب من مليون ونصف مليون سنة، على أقل تقدير، لبعض المواقع في إندونيسيا والصين؛ بينما تواريخ غرب آسيا لا تزال معطياتها القليلة تؤرخ إلى نحو مليون سنة مضت، على أكثر تقدير، وذلك مثل موقع الشويحطية.

ومن جهة أخرى، تشير نتائج الأبحاث الحديثة في أفريقيا نفسها، إلى أن بداية تصنيع الأدوات الحجرية، ومن ثم السلالة المسؤولة عنها، تعود إلى أزمان أقدم بكثير من تلك، التي تعبر عنها طبقات موقع اولدفاي السفلى، أنفة الذكر. ففي أثيوبيا، على سبيل المثال، يرجع تاريخ أقدم الأدوات الحجرية إلى نحو (٢,٦ - ٢,٣ مليون سنة). كما أن الصناعة

الأدوات. والأنواع الرئيسية منها هي الأدوات الثقيلة، مثل: القواطع، والسواطير، والقطع متعددة الأسطح، وذوات الأشكال الكروية، والقرصية وشبه القرصية. كذلك، توجد الأدوات المشظية من وجهين، مثل: الفؤوس البسيطة، والمفارم، والمعاول. كذلك وجدت أعداد من المكاشط الجانبية البسيطة، والطرفية، والمثاقب، والسكاكين، والمناقش (شكل ١: ibid: 96).

أما الموقع الثاني (٢١٧-٦٣)، الذي أمدنا بأدوات من هذا النوع، فقد اكتشف في الأقليم الجنوبي الغربي بوادي نجران. وعلى الرغم من قلة عدد الأدوات التي تم جمعها (٣٤ أداة)، وما أحدثته العوامل الطبيعية من أثر فيها، إلا أنها شديدة الشبه بتلك التي جمعت في الشويحطية. كما أنها تقع ضمن نوع الأدوات، التي تنسب لبداية العصر الحجري القديم الأسفل. وقد أجرى هويلن وآخرون دراسة إحصائية للأدوات من الموقعين، تشمل الخصائص النمطية وقياسات أبعاد الأدوات، إضافة لمجاميع أدوات أخرى من موقع اولدفاي (Olduvai) الشهير في تنزانيا، بشرقي أفريقيا. واختير هذا الموقع للمقارنة لأنه حوى عدداً من المواضع، التي وجدت فيها تجمعات أدوات حجرية، وبقايا عظمية آدمية وحيوانية، إضافة إلى ظواهر أخرى على امتداد أربع طبقات من الترسبات الجيولوجية. وقد أمكن تأريخها بالطرق العلمية، مثل أرقونات البوتاسيوم. وقد كان هو الموقع المثالي، الذي اتفق علماء ما قبل التاريخ على اعتباره نموذجاً لتعاقب أدوار صناعة الأدوات الحجرية خلال العصر الحجري القديم الأسفل. ففي هذا الموقع تأكد تطور هذه الصناعات، من النوع الحصى البسيط، الذي أطلق عليه الدور الأولدواني الذي يشمل الأنواع أنفة الذكر، إلى الأدوات الأشولية بفؤوسها اليدوية المتميزة. ففي الطبقة السفلى وجد ما عُرف بالصناعة الأولدوانية (Oldowan)، التي تمتد زمنياً من ١,٩ إلى ١,٦ مليون سنة. وتستمر هذه الصناعة في الطبقة الثانية، مع تغيرات طفيفة في أشكال ونسب الأدوات، وقد أُطلق عليها الأولدواني المتطور (أ)، الذي يؤرخ من ١,٦ إلى ١,٣ مليون سنة؛ ويليه الأولدواني المتطور (ب)، الذي يؤرخ من ١,٣ - ١,٠ مليون سنة. وفي منتصف هذه الطبقة الثانية، تظهر



الشكل ١: أدوات أولدوانية من موقع الشويحطية - المنطقة الشمالية. ١- ٥ سواطير، ٦- معول، ٧- أداة ثنائية الوجه، ٨- أداة قرصية، ٩ - ١٠ أدوات كروية، ١١- مطرقة، ١٢- سكين، ١٣- ١٥ مكاشط جانبية، ١٦- مثقب (Whalen et al. 1986).

الحيوانات المختلفة، والاستفادة من لحومها وعظامها وجلودها. وكذلك، تمكن الإنسان من الحصول على بعض الموارد المائية، مثل الأسماك وغيرها. إن التقدم النسبي في قدرة الإنسان على استغلال هذه الموارد، يعود أساساً إلى ما أنتجه من أدوات، مثل ما يعود إلى تراكم التجارب واتساع القدرات الذهنية. ويتميز الدور الأشولي أساساً بظهور تقنية تشكيل الفأس اليدوية، وهي أداة مشحودة (مشظية) الوجهين، ومدببة الرأس، ومثلثة الشكل، ذات طرفين حادين. كما يوجد عدد من أنواع الفؤوس، التي تصنّف عادة حسب شكلها، مثل شكل الرمح، أو القلب أو اللوزة وهي ذات أحجام مختلفة. وقد حاول الباحثون رصد التطور التقني في تشكيل هذه الأداة المتميزة، إذ تبين أنها مرت بمراحل مختلفة؛ فالفؤوس الأقدم غير مكتملة التشظية، تحتفظ بجزء من القشرة الطبيعية (Cortex). كما استخدم في أسلوب شطر الشظايا ما يعرف بالمطرقة الصلبة مباشرة (hard hammer)، وهي التي تترك ندبات عميقة في سطح الفأس. ذلك، لم تكن الفؤوس في هذه المرحلة متسقة الشكل والأبعاد، الأمر الذي لم يحدث إلا بتقدم الزمن، حيث ابتكر الإنسان أسلوب الطرق الناعم (soft hammer) باستخدام العظم أو الخشب، دون المطرقة الحجرية، وتمكن بذلك من توجيه ضربات محكمة لشطر الشظايا، ومن ثم أصبحت الفؤوس أكثر اتساقاً ودقة، في أشكالها وأطرافها الحادة. فأبسط أشكال الفؤوس في التقنية وأكبرها حجماً، تنسب عادة للنوع المبكر حيث تصاحبها بعض الأدوات المعروفة في الصناعة الأولدوانية. أما الأشولي الأوسط والأعلى، فيفترق بينهما استخدام الطرّق المباشر القاسي في النوع الأول، والطرق الناعم الخفيف في الثاني (الأعلى)، الذي تغلب فيه الفؤوس الصغيرة الحجم وجيدة التشذيب، من الأنواع التي تشبه شكل القلب، أو الشكل البيضوي، ثم ظهور التقنية اللفالوازية المتميزة والأوسع انتشاراً في الفترة الحضارية اللاحقة للأشولية. وقد اعتمدت هذه الصفات الشكلية والتقنية في تصنيف المواقع الأشولية، في المملكة العربية السعودية (Zarins et al. 1981).

لم تكن الفأس اليدوية هي الأداة الوحيدة في الصناعة الأشولية، بل توجد معها أنواع أخرى، مثل: المعاول،

الأشولية، التي أعقبت الأولدوانية عرفت في كينيا في حدود مليون ونصف مليون سنة. وهكذا فإن النتيجة العامة هي أن التسلسل، الذي اعتمد في موقع اولدفاي ربما كان أحدث زمنياً بكثير، مما هو واقع فعلاً في أماكن أخرى في أفريقيا (Harris 1983: 9-10, Gamble 1993: 64-73). ومما يدعم هذا الرأي أن هناك اكتشافات حديثة في أوروبا، تشير إلى تاريخ وصول سلالة هومو إركتوس في تاريخ أقدم مما كان موضوعاً له من قبل. ويدل على ذلك اكتشاف أدوات حجرية مؤخراً من نوع الأولدوانية في موقعي (Fuentenueva و Barranco) في إقليم (Orce)، جنوب شرقي إسبانيا، وجدت ضمن طبقات رسوبية، أوضحت الدراسة الجيولوجية والتأريخ العلمي لها أنها قريبة زمنياً من رسوبيات الطبقة الأولدوانية في أفريقيا (Gibert et al. 1998: 19-23).

كذلك أعلن أخيراً عن اكتشاف بقايا عظمية وعظام جمجمتين وفك بالقرب من تبليسي، عاصمة جورجيا نسبت لسلالة (Homo erectus) وبعد دراستها تم تأريخها إلى ١,٧٥ مليون سنة مضت (Rose. 2002: 10-11) إن الاستنتاج الطبيعي من هذه المعلومات الحديثة، هو أن تاريخ انتشار السلالات المبكرة، أقدم بكثير مما كان معروفاً من قبل؛ وعلى ذلك فإن المملكة العربية السعودية والمناطق الجنوبية الغربية من اليمن، مرشحة لمدنا بمواقع أثرية مبكرة، أقدم بكثير من الشويحية أو مثيلاتها. وذلك نسبة لموقع الجزيرة العربية وسطاً بين شرق آسيا وأوروبا.

## ب- الصناعة الأشولية:

تمثل الصناعة الأشولية (Acheulian Industry) الدور الثاني في تطور بواكير الحضارة الإنسانية، خلال العصر الحجري القديم الأسفل. وتتميز هذه الفترة بظهور أسلوب جديد لتشكيل الأدوات الحجرية، ضمن منجزات ونشاطات أخرى تدل على التوسع في قدرات الإنسان، وعلى الانتشار الجغرافي النسبي والتكيف على بيئات متنوعة، واستغلال مكوناتها الطبيعية بدرجة غير معهودة. فمن جملة الأدلة الأثرية المتحصل عليها، من مواقع في مختلف أنحاء العالم، نستدل على استغلال الإنسان للموارد النباتية، وممارسة صيد



يكن نتيجة عمل ميداني منظم، إلا أن بعض مجاميع الأدوات الأشولية وغيرها، وجدت عناية خاصة من قبل بعض الأفراد، ومنهم المختصين. فقد وصف هنري فيلد وسورديناس واوفرستريت هذه الأدوات، في أكثر من عمل منشور. فقد أشاروا إلى وجود الأشولي الأوسط والأعلى في المنطقة الشرقية، بالقرب من الظهران ويبرين وعين غنامي وعين قوينصة وغيرها من الأماكن.

وفي الإقليم الشمالي والشمالي الغربي ذكر وجود معثورات أشولية شبيهة بتلك، التي وجدت في المنطقة الشرقية، بل أشير إلى وجود أنواع من الفؤوس ربما تمثل المرحلة المبكرة للأشولية (Parr et al. 1978: 34). وينطبق الأمر نفسه على منطقة صحراء الربع الخالي، حيث جمع زيمرمان (Zimmerman) مجموعة كبيرة من الأدوات الحجرية بعضها فؤوس أشولية. وفي المنطقة الجنوبية الغربية والوسطى والغربية، اكتشف العديد من المواقع، التي تعود إلى هذه الفترة (Overstreet 1973).

ولم يتأكد موقف هذه الاكتشافات الأشولية في المملكة، إلا بعد إجراء المسح الأثري الشامل، الذي قامت به وكالة الآثار والمتاحف، عندما جرى تسجيل أضعاف تلك المواقع المعروفة من قبل، كما جمعت منها مواد أثرية بطريقة منهجية، إضافة إلى الدراسات الجيولوجية والجيومورفولوجية المصاحبة لهذه الأعمال، إذ أمكن -في بعض الحالات- وضع تصور مبدئي لأحوال البيئة الطبيعية، التي أثرت في حياة الصيادين في ذلك الوقت.

وقد أكدت نتائج المسح الأثري الشامل، استمرار الوجود البشري في المملكة خلال المرحلة المبكرة، التي تمثلها مكتشفات الشويحطية ونجران، بل توسع الاستيطان في المرحلة الأشولية التالية ليشمل معظم أقاليم البلاد. وقد عني الباحثون بمواقع الأشولية باعتبار أن المعثورات فيها تشكل أدلة واضحة، على اتصال هذه المنطقة بالمراكز الحضارية الأخرى المبكرة، في أفريقيا وشرقي البحر المتوسط. وبما أن أكثر المواقع، التي وصفت في تقارير المسح الأثري المتتالية، كانت تجمعات لأدوات حجرية وجدت فوق السطح فقط، كما كان بعضها قليل العدد ولا يسمح بالدراسة المفصلة، فسوف

والسواطير، والأدوات الكروية، والمكاشط، والسكاكين، والمثاقب، وغيرها. وأول ما يلاحظ في هذه الفترة، كثرة أنواع الأدوات المشحوزة؛ إذ تبلغ القائمة النمطية للأدوات ضعف ما هو موجود في الصناعة الأولدوانية، ناهيك عن أسلوب التصنيع والمهارة التي يعكسها. وقد حاول الباحثون، أيضاً، تقسيم الصناعة الأشولية إلى ثلاثة أقسام: مبكر وأوسط وأعلى، وذلك بناء على ما توافر لهم من أدلة من مواقع أمكن تأريخها علمياً، وفيها طبقات متعاقبة يمكن من خلالها رصد تسلسل أنواع الأدوات، وتسجيل الفروق في أشكالها ونسبها وأساليب تصنيعها. وهناك من الباحثين من يرى عدم موضوعية تقسيم الأشولية إلى مراحل متعاقبة.

ومن المعروف، أن أقدم صناعة أشولية عثر عليها كانت -حتى الآن- في عدد من المواقع في كينيا وتنزانيا وأثيوبيا بشرق أفريقيا، وتم تأريخها إلى نحو مليون ونصف مليون سنة، قبل الوقت الحاضر. ولم يعثر على تاريخ بهذا القدم للأشولية خارج أفريقيا، حيث نجدها منتشرة في بعض أنحاء أفريقيا وفي آسيا حتى الباكستان والهند وأوروبا. ويعود تاريخها في هذه الأماكن بين نصف مليون إلى نحو ٨٠,٠٠٠ سنة قبل الوقت الحاضر، أو إلى أقل من ذلك في بعض الأماكن. ومن ضمن ما حقق إنسان تلك الفترة، بناء الأكواخ البسيطة في السهول، مثلما استخدم الكهوف والملاجئ الطبيعية، التي نظم أرضياتها بطريقة بدائية في بعض الحالات. كذلك صار من الشائع في المواقع الأشولية استخدام النار، وهو ابتكار عاد للإنسان بفوائد جمة، أقلها طهو الطعام الذي يؤدي إلى تحسين مستوى قيمته الغذائية. ومن خلال هذا الوصف الموجز للحضارة الأشولية، نعود لنرى ما وجد منها في المملكة العربية السعودية، التي أشرنا إلى وجود المجموعات البشرية فيها منذ أزمان مبكرة، كما يدل على ذلك وجود مجاميع الأدوات الأولدوانية، سابقة الذكر.

عرف عن وجود الأشولية في المملكة منذ نصف قرن تقريباً، من خلال اكتشاف الفؤوس الأشولية المتناثرة على السطح في كثير من المواضع، في معظم مناطق المملكة، التي وصفها الجيولوجيون العاملون في أرامكو وغيرهم من المهتمين. وعلى الرغم من أن الكثير من هذه المكتشفات لم

الطبيعية، التي عاش فيها الصيادون في ذلك الوقت. ففي المساحة الواقعة بين طرفي هضبة الانديسيت، أي ما بين الموقعين المذكورين، لوحظ مجرى شلالين فرعيين يجلبان المياه من المرتفعات، إلى منطقة منخفضة في الوادي كانت توجد فيها بحيرة نشطة خلال معظم الفترة الأشولية. وتؤكد الملاحظات الجيولوجية الدالة على تصريف المياه، تعاقب فترات الجفاف والأمطار، الأمر الذي دعمته الظواهر الطبيعية لمكونات التربة، التي تتكون منها طبقات الأرض في المجسات التي حضرت في كلا الموقعين. ومما يجدر بالذكر خلو طبقات الموقعين من أي مواد عضوية، كان من الممكن أن تساعد في معرفة أحوال الناس المعيشية، وفي الغالب قد أتت العوامل الطبيعية على هذه المواد. ومثال ذلك التفاعل الكيماوي للسخور الموجودة في المنطقة (Whalen et al. 1983: 9-11). أجرى الباحثون دراسة مفصلة للمعثورات المكتشفة في هذين الموقعين، تشمل تسجيل مكان كل أداة في الطبقة المعينة، لمعرفة اتصال أنواع المعثورات ببعضها في بقع مخصصة، ولتحديد ما إذا كانت هناك تجمعات للأدوات تدل على نشاط معين. كذلك، أجريت دراسة إحصائية تحليلية استعملت فيها (Cluster analysis) لمواد الموقع ٢٠٦-٦٧، مع أخرى من واحد وعشرين موقعاً أشولياً من المنطقة الوسطى. وكان نتيجة تلك الدراسة مؤشرات قوية، تدعم اتجاه التفسير الوظيفي لارتباط مجاميع أنواع الأدوات المختلفة. ومن جهة أخرى، فإن نتائج التصنيف النمطي للأدوات من هذين الموقعين، والمقارنة مع مواقع أشولية مؤرخة علمياً في شرقي المتوسط وأفريقيا، تشير إلى أنهما يعودان لفترة الأشولي الأوسط نحو ٢٥٠,٠٠٠ / ٣٠٠,٠٠٠ سنة، قبل الوقت الحاضر تقريباً (Whalen et al. 1984: 11).

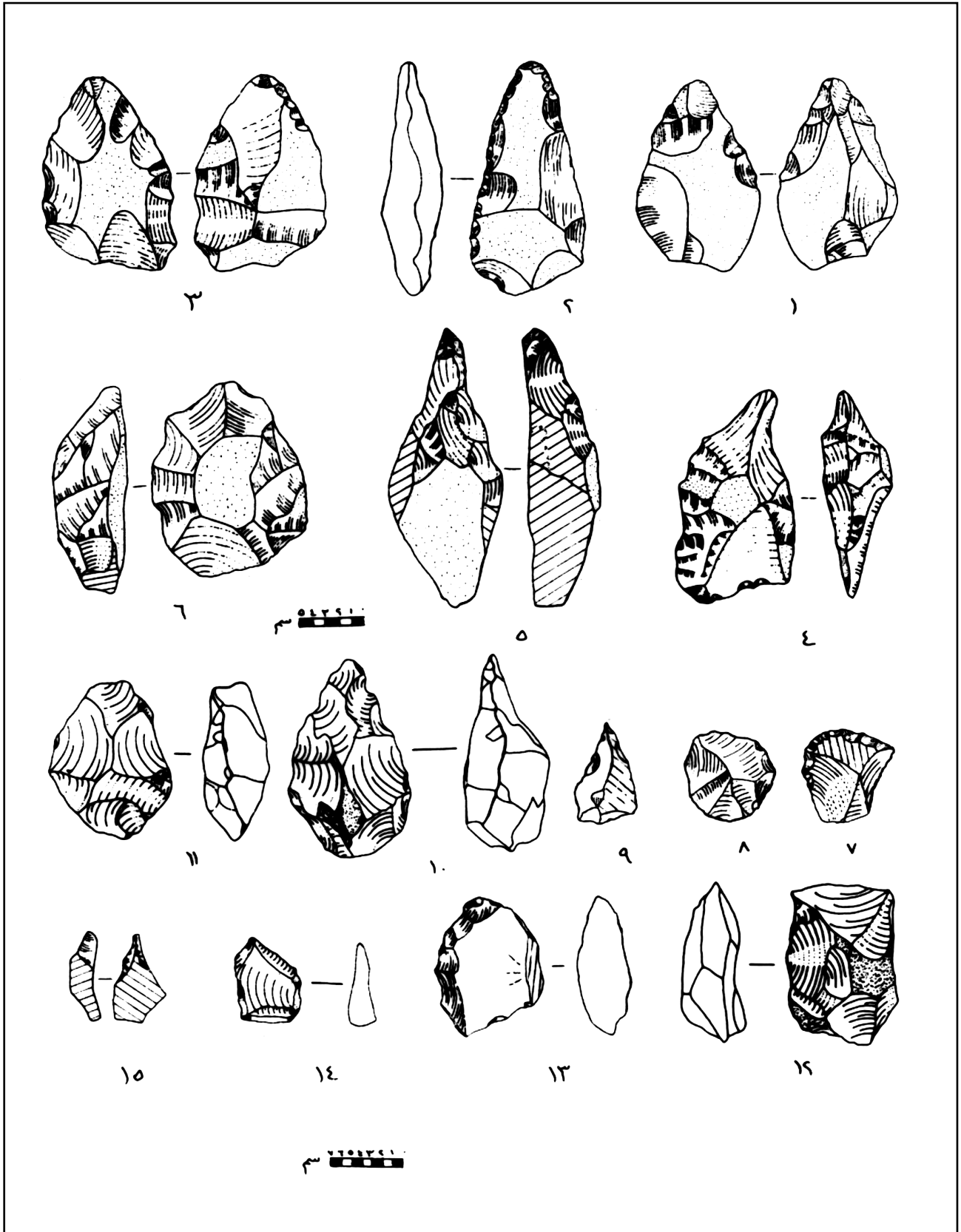
وبالنظر إلى قائمة أنواع الأدوات، نجد أن أدوات التقطيع تشمل: الفؤوس اليدوية، التي تمثلها الأشكال الرمحية أو القلبية، والسواطير، وثنائية الوجه، والسكاكين الكبيرة. وتشمل مجموعة أدوات الأشغال الثقيلة: المعاول، والأدوات ثلاثية السطح، والقواطع، والأقراص، والمستديرات، وكلها مصنوعة من نوى ثقيلة. ولم تكن تقنية التصنيع متطورة إذ كان أسلوب الطرق من النوع المباشر بالطرقة الصلبة، حيث

نتناول في هذا الاستعراض تلك المواقع، التي أمدتنا بمعلومات مناسبة عن هذه الفترة وذلك من منطقتين، هما: الدوادمي في المنطقة الوسطى، ووادي فاطمة في المنطقة الغربية، كعينة ممثلة للحضارة الأشولية في المملكة. وتمدنا المواقع الأشولية من هاتين المنطقتين بمعلومات مفيدة، عن إنسان تلك الفترة وقدراته التقنية في تشكيل الأدوات، والتكيف مع البيئة، واستغلال مواردها الطبيعية.

إن وجود الأدوات الأشولية في منطقة الدوادمي، أشار إليه من قبل سورديناس (Sordinas) في ١٩٧١م. وقد وجدت ستة مواقع خلال المسح الأول للمنطقة الوسطى، نسبت الأدوات فيها إلى الأشولي الأوسط، بناء على التصنيف النمطي للفؤوس، وغيرها من الأدوات. أما الاكتشافات المهمة في المنطقة، فقد كانت ضمن نتائج موسمين لاحقين حيث تم تسجيل خمسة وعشرين موقعاً، بالقرب من صفاقة جنوب شرقي الدوادمي. وقد وصفت تلك المواقع بأنها تنتسب للأشولي الأوسط، ما عدا موقعاً واحداً وصف بأنه من نوع الأشولي الأعلى. وتمتاز هذه المواقع بسعة المساحة، على الرغم من أنها تتباين في جملة الوظائف أو الأنشطة، التي قدر الباحثون أنها مورست فيها (Whalen et al. 1984: 16).

إن أهم موقعين من جملة هذه المواقع، هما: ٢٠٦-٧٦، و ٢٠٦-٦٨ بسبب كثافة الأدوات الحجرية، التي جمعت منهما، ولما لوحظ فيهما من مؤشرات دالة على تنوع الأنشطة التي مارسها الإنسان الأشولي في تلك المنطقة إضافة للأحوال البيئية القديمة المواتية لحياة أعداد مقدره من جماعات الصيادين. كذلك، فإن هذين الموقعين قد يكونان الوحيدين اللذين توجد فيهما أدوات تحت سطح الأرض، إذ كانت في الموقع ٢٠٦-٧٦ ممتدة حتى عمق متر ونصف المتر، وأقل من ذلك قليلاً في الموقع الآخر ٢٠٦-٦٨. وقد وجد الموقعان في المنحدرات الشمالية لهضبة مكونة من حجر الانديسيت والريوليت والجرانيت، تقع إلى الجنوب من قرية صفاقة.

وتقدم نتائج الدراسات الجيولوجية، التي أجريت في المنطقة، وكذلك الظواهر الجيومورفولوجية، التي كشفتها عمليات التنقيب في الموقعين، مشهداً واضحاً للظروف



الشكل ٢: أدوات أشولية من الدوامي ووادي فاطمة (جدة) ١ - ٣ فؤوس يدوية، ٤ - ساطور، ٥ - معول، ٦ - قرص، ٧ مكشطة أمامية، ٨ - رقيقة لفاوازية، ٩ - مثقب، ١٥ - منقاش، الدوامي. ١٠-١١ فؤوس يدوية، ١٢ - مفرمة، ١٣ - مكشطة، ١٤ - مثقب، وادي فاطمة (Whalen et al. 1983, 86).

مستمر، وإنما على أساس موسمي.

وعلى الرغم من عدم ملاحظة أي تنوع في أشكال الأدوات وأنواعها على مرّ آلاف السنين، إلا أن هناك إشارات لتحوّلات في التركيز على بعض الأنشطة، التي تخصص فيها الناس، لسبب أو لآخر. ويبدو أن هجرة الصيادين من المنطقة حدثت عندما جفت البحيرة، خلال فترة الأشولي الأوسط نفسها، حيث لم تعد مكاناً صالحاً للإقامة، إلا بصفة متقطعة في فترات لاحقة (ibid: 11-19). ومهما يكن من أمر، فإن صحة فرضية التفسير الوظيفي المقترحة، تبقى رهينة لتأكيدات إضافية. كما أن طرحها لا يعني إلغاء تفسيرات أخرى، يمكن استشفافها من خلال إجراء دراسة تحليلية على أسس مختلفة.

ويأتي المثال الثاني للصناعة الأشولية من منطقة وادي فاطمة، بالقرب من جدة. فقد كان من نتائج المسح الأثري في المنطقة اكتشاف ٣٢ موقعاً أشولياً، ضمن مواقع أخرى، وجدت متوزعة على الجانب الشمالي من الوادي، وبالقرب من الأودية الفرعية، التي تصب في الوادي الرئيس. وتتوافر في المنطقة أنواع مناسبة من الصخور لتصنيع الأدوات. كذلك، تشير الملاحظات الجيولوجية إلى أن المناخ كان ممطراً ورطباً، خلال فترة الاستيطان. وأوضح التصنيف النمطي للأدوات الحجرية غلبة الأنواع المعهودة في الصناعة الأشولية، وهي: الفؤوس اليدوية، والمضارم، والمعاول، والأدوات الكروية، ومتعددة الأسطح؛ إضافة للأنواع الصغيرة، مثل: المكاشط المتنوعة، والأزاميل، والمناقيش، والمثاقب (الشكل ٢). وهناك مؤشرات على ظهور التقنية للفضالوازية، التي يعتقد أنها مترامنة مع الأشولي الأوسط. كذلك، فإن مقارنة الأدوات بمثيلاتها، في صفاقة بالدوامي وغيرها في بلاد الشام (سوريا)، ترجّح نسبتها إلى الأشولي الأوسط أيضاً. ويدعم هذا الرأي الحصول على تاريخ علمي بواسطة يورانيوم/ ثوريوم المشع، أُجري على حصى جيرية متكلسة، وكان في حدود ٢٠٠,٠٠٠ سنة ق.م. وهو تاريخ قريب جداً من التاريخ المذكور من صفاقة، حيث أرخت عينة من المادة الكلسية نفسها (Whalen et al. 1988: 78).

إن الأمر المهم في دراسة الفؤوس اليدوية والأدوات الثقيلة

تترك ندباً عميقة على أسطح الأدوات. كما أن الفؤوس، وغيرها من أدوات غير مكتملة الاتساق، لا تعكس نسباً محفوظة في أبعادها. كذلك، لوحظ وجود التقنية للفضالوازية في مرحلتها البدائية، التي تنسب، عادة، لفترة الأشولي الأوسط. أما بقية الأنواع، فتتمثل فيما يسمى بالأدوات الخفيفة، كالمكاشط بأنواعها، والمثاقب، والمناقش، والسكاكين، الرفيعة. كذلك، توجد القطع المستعملة في تصنيع الأدوات، مثل: المطارق والنوى، وما ينتج عنها من شظايا وكسر مختلفة الأحجام (شكل ٢، Ibid 18).

ويلاحظ أن هذه الأدوات بأنواعها المختلفة، لم يطرأ عليها تغيير تقني يذكر، بل ظلت موجودة بأشكالها نفسها تقريباً، على امتداد أكثر من متر تحت السطح، أي على امتداد فترة الأشولي الأوسط الطويلة نسبياً. ويظهر الاختلاف الواضح في تجمع بعض أنواع الأدوات وتركيزها، في مستويات معينة من المساحات، التي عاش فيها الصيادون ومارسوا أنشطة مختلفة، كما يفترض الباحثون. ويرى الباحثون أيضاً أن الدراسة التحليلية لأنواع الأدوات، وأماكن وجودها، جعلتهم يقترحون سبعة استعمالات أو أنشطة مارسها الصيادون، على امتداد طبقات الموقع ٢٠٦-٧٦، بدرجات متفاوتة في التركيز. وتتمثل هذه الأنشطة في: تجهيز الصيد، وتقطيع اللحوم التي تستخدم فيها الفؤوس والسواطير والسكاكين، ثم كسر العظام للحصول على النخاع، وذلك باستعمال القواطع والنوى والأدوات متعددة الأسطح. أما أعمال الجلود، فقد خصصت لها المكاشط المقوسة والسكاكين، وأخيراً أعمال الخشب أو العظم، وأدواتها المكاشط المستقيمة والمقعرّة والمثاقب، أو المخارز والمثاقب على التوالي. وهناك مجموعة أدوات بينها المعاول، يرى الباحثون أنها مناسبة لمعالجة النباتات وتجهيزها، ومجموعة أخرى يستفاد منها في تصنيع الأدوات، وهي النوى والمطارق وكتل الأحجار المتبقية بعد استخراج الشظايا. ويخلص الباحثون إلى أن كثرة المواقع الأشولية في هذه المنطقة، يعود إلى وجود البحيرة ووفرة النباتات والحيوانات والصخور المناسبة لعمل الأدوات. كما أن عمق الترسبات التي وجدت فيها المعثورات، يشير إلى أن جماعات الصيادين عاشوا في المنطقة لفترة طويلة؛ ولكن ليس بالضرورة بشكل

وبقية قائمة الأدوات، التي شكّلت بأسلوب تقني متطور يتميز عن سابقه، بمستوى درجة التحكم في التنفيذ. ويقودنا ذلك - بطبيعة الحال- للمرحلة التالية من تطور حضارات العصر الحجري القديم، التي تجمع من الصفات ما يبرر تناولها تحت عنوان مستقل.

### العصر الحجري القديم الأوسط

يتفق علماء ما قبل التاريخ، على مجموعة خصائص ومعايير حضارية تميّز هذه الفترة عن غيرها، بناء على ملاحظات وشواهد أثرية، جمعت من آلاف المواقع في قارات العالم. كما أنهم اتفقوا، في الوقت نفسه، على أن الإنسان قد خطا خطوات مهمة نحو التنوع والتميز الثقافي/ الحضاري الإقليمي، وذلك لأسباب مختلفة، منها استمرار الموروث الثقافي وتراكمه، والتكيف البيئي والموارد الطبيعية المتاحة. وتتمثل التقنية الأساسية المميزة لهذه الفترة، في ما يعرف بتجهيز، أو تهيئة النوى الحجرية، لشطر عدد من الرقائق (الشظايا)، التي يُختار بعضها، ومن ثم تشكّل بالشحن والتشذيب في أدوات متعددة الأنواع ذات سمات متكررة، تعكس قدرات أكبر في تقنية الشحن الرفيع والتنوع في الشكل، يفوق كل ما عُرف في الصناعة الأشولية. وتقل تدريجياً أنواع الأدوات الثقيلة الخشنة التصنيع، والفؤوس اليدوية حتى تختفي تماماً في أواسط هذه الفترة، لتحل محلها الأدوات المصنّعة على الرقائق (الشظايا). ومن نتائج هذه الدراسات، أيضاً، تحديد تقاليد حضارية متوزعة على أنحاء العالم بما يعرف بالمناطق الثقافية (Culture areas)، حيث تنتشر سمات حضارية مشتركة، في المنطقة المعنية. تعرّف الباحثون على طريقتين متميزتين في تجهيز النوى، في الصناعات الحجرية لهذه الفترة، ضمن طرق أخرى بسيطة، هما: اللفالوازية والموستيرية؛ فالطريقة الأولى، نجد بداياتها في الصناعة الأشولية نحو ٢٠٠,٠٠٠ قبل الوقت الحاضر، ليكتمل نضوجها وتميزها في العصر الحجري القديم الأوسط. وهي تعني -ببساطة- تجهيز النواة بطرقها من الحافة نحو الوسط، لإبعاد القشرة الطبيعية، ثم يتبع ذلك خطوات تشطير متعاقبة، تؤدي في النهاية إلى شطر ما يسمى

الأخرى، هي تلك الظواهر التي تدل على أسلوب التصنيع. وفي حالة الأشولي الأوسط أو المبكر، نجد أن التشظية تترك ندبات عميقة، كما أن الفؤوس لم يكتمل تنسيق أبعادها بعد. والأدوات المصنّعة، مهما كانت بسيطة في أشكالها، فإن الباحث يسعى دائماً لمعرفة وظائفها، وبذلك تكون المدخل إلى معرفة بعض جوانب الاقتصاد المعيشي لجماعات العصور الحجرية. وفي مواقع وادي فاطمة، حاول الباحثون تطبيق الفرضية نفسها، التي وصفت من قبل لتفسير استخدامات مجموعات الأدوات الحجرية، في المواقع الأشولية بصفاقة. ويرى هؤلاء أن وجود أنواع معينة من الأدوات في مواضع بعينها، يشير إلى تخصيص تلك المواضع لعمل أنشطة معينة. فأحد المواقع الصغيرة في شمالي بحرة، على سبيل المثال، وجدت فيه أدوات قليلة ومحدود الأنواع، مثل: القواطع، والمكاشط، وقليل جداً من الشظايا الثانوية، الناتجة عن إعادة تشذيب الأدوات؛ ولهذا السبب عدّه المنقبون بقعة نشاط محدود، ربما كان يتعلق بإعداد الطعام من النبات، أو لحوم الحيوان (ibid: 81). وكما أشرنا أعلاه، فإن هذا التفسير الوظيفي، يعد أحد المداخل لتفسير مكونات مجاميع الأدوات الحجرية وتوزيعها في المكان والزمان إلا إن استخدامه في حالة المتثورات السطحية تحفه الشكوك.

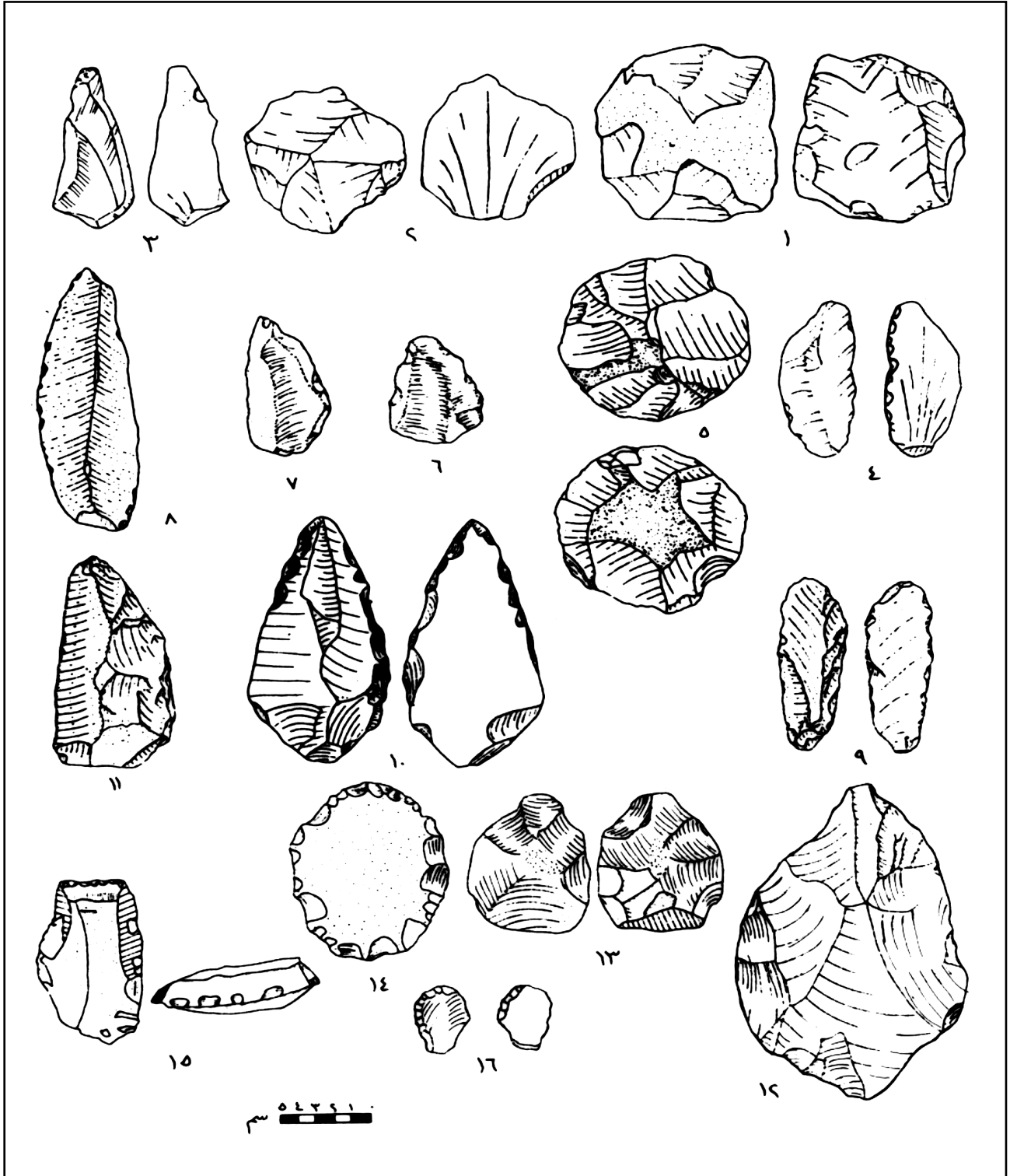
ومهما يكن من أمر طبيعة مجاميع الأدوات الحجرية، وما طرأ عليها من تغييرات بفعل عوامل الطبيعة بسبب وجودها على السطح، وقلة المواقع المكتشفة حتى الآن، ومحدودية إمكانية تأريخها بطرق علمية، فإن مجمل المعلومات المتوافرة تشير إلى أن أرض المملكة العربية السعودية، كانت مأهولة بجماعات الصيادين، في أزمان موعلة في القدم، تعود لنحو مليون سنة على الأقل. ومن المتوقع أن تكشف الأبحاث المستقبلية عن مخلفات أثرية أقدم منها في ضوء ما قدمنا من مؤشرات. ومن جهة أخرى، تؤكد هذه المعلومات، أيضاً، أن الصناعات الحجرية، خلال فترة العصر الحجري القديم الأسفل، كانت متوافقة بدرجة كبيرة مع مثيلاتها في أفريقيا، وغربي آسيا، والأجزاء الجنوبية من أوروبا. وهي تبدأ بالأدوات الحصوية (الأولدوانية)، ذات المواصفات التقنية البسيطة، لتعقبها الأشولية بفؤوسها اليدوية مكتملة الصنع،

قوائم التصنيف تلك، ما يسبب بعض الإشكاليات العملية عند تطبيقها. وقد حدث هذا الأمر في أكثر من مكان في أفريقيا والشرق الأدنى (Elamin 1981: 118-120, 177-185). وإكمالاً للصورة، علينا أن نذكر أن إنسان هذه الفترة خطا خطوات مهمة في تحسين موارد المعيشة، من صيد بري وبحري وجمع للمواد النباتية. إن مجموع ما اكتشفه الآثاريون يشير بوضوح إلى التوسع في استغلال الموارد الطبيعية المتباينة، وتمدد الاستيطان البشري، في معظم أجزاء العالم القديم، بما في ذلك شمالي أوروبا. وقد صنع الإنسان كذلك قليلاً من أدواته من العظم والقرون، كما استعمل أدوات الزينة، مثل قطع الخرز البسيطة إضافة إلى ممارسة دفن الموتى، وعمل بعض الفنون البدائية البسيطة، التي كانت الأساس لانطلاقة الفنون الكبرى، في المرحلة الثالثة من العصر الحجري القديم.

في ضوء هذه المعلومات العامة، ننظر في مجاميع الأدوات الحجرية في المملكة العربية السعودية، التي نسبت إلى هذه الفترة. فقد أثمر المسح الأثري الشامل، ومن قبله تقارير الرواد أمثال هنري فيلد وسورديناس وافرستريت، في الكشف عن العديد من مواقع هذه الفترة، في شتى أقاليم البلاد؛ وإن كانت هذه المواقع وجدت بكثافة واضحة في الشمال والجنوب الغربي للبلاد. مثل غيرها من مواقع ما قبل التاريخ في المملكة، فإن المعثورات كانت محصورة في الأدوات الحجرية التي وجدت على السطح، وهي خالية -بطبيعة الحال- من المواد العضوية، أو أي مصنوعات أخرى ذات دلالة فنية. ويزيد الأمر تعقيداً أن الكثير من هذه المواقع، يوجد فيها أكثر من مكّون حضاري؛ إذ تنتشر الأدوات الأشولية مع أخرى مستيرية، أو غيرها من الفترات اللاحقة من فترات العصور الحجرية، ما يشكل صعوبة أمام الباحثين. والملاحظة العامة الأخيرة هي، أن هذه المجاميع، التي درست، تعكس توافقاً في بعض أساليب التصنيع، مثل التقنية للفالوازية أو المستيرية، وبعض الأنواع المعروفة من الأدوات. كما أنها، من جهة أخرى، تعكس، أيضاً، صفات محلية تميّزها عن الصناعة المستيرية النموذجية، التي وصفناها من قبل، ما يجعلنا أمام حالة اختلاف أو تباعد حضاري. ومما لا شك فيه أن هذا

بالشظية للفالوازية، أو الرأس للفالوازي. أما الطريقة الثانية: المستيرية، فقد عرفت بعد فترة من الطريقة الأولى، وهي تتبع بعض الخطوات الفنية المعروفة في الفالوازية، ولكنها تهدف إلى الحصول على عدد أكبر من الشظايا (الرقائق) من النواة الواحدة، التي تُشبه، عادة، ظهر السلحفاة. ويضاف إلى هاتين التقنيتين نوع الأدوات المصنعة، التي تتمثل في المكاشط، والسكاكين، والرؤوس، والمسننات (المنشارية)، والأدوات ذات الثلم، وقليل من النصال، والفؤوس اليدوية، في المراحل المبكرة من هذه الفترة الحضارية. ويعكس تسلسل الأدوار الثقافية خلال هذه الفترة، وجود تقاليد في تشكيل الأدوات يُطلق عليها: "الصناعات المستيرية"، التي تمثل حضارات تنتشر بمواصفاتها المذكورة، في وسط وغربي أوروبا، وشمالي أفريقيا، وغربي آسيا (شرق المتوسط). وكلما ابتعدنا عن هذه المراكز، يقل انتشار التقنيتين المستيرية والفالوازية بشكلهما النمطي المعروف، وتحل محلها أساليب تصنيع محلية، تعتمد، أيضاً، إنتاج الشظايا لعمل الأدوات، مثل ما هو الحال في أفريقيا جنوبي الصحراء، وبعض بلدان شرقي آسيا.

فالصناعات المستيرية في غربي أوروبا، على سبيل المثال، قسّمت إلى عدد من التقاليد في صناعة الأدوات، لكل واحدة منها خصائص شكلية وتقنية، ونسب متوافقة في أنواع الأدوات، توجد، عادة، في المجموعة المعينة. ويختلف العلماء في التفسير الحضاري لهذه التقاليد، أو المجموعات المستيرية. ونتيجة لدراسات مطولة للعديد من مجاميع الأدوات الحجرية، ومن مواقع مختلفة، وضع دارسو تلك المجاميع قوائم للتصنيف، بناءً على رصد الخصائص المورفولوجية والتقنية للأدوات وأنواعها، وأنواع الصخور المستعملة في تشكيلها (Bordes 1972: 48-54). وقد نقل هؤلاء العلماء هذه المنهجية لتطبيقها في أماكن خارج أوروبا، حيث ثبتت جدواها وفائدتها في بعض الحالات، مثل شمالي أفريقيا وشرقي البحر المتوسط؛ ولكنهم استخدموا أحياناً بعض المسميات المحلية من أجل إبراز بعض السمات الخاصة بالمنطقة. وتظهر الصعوبة عندما تكون مجاميع الأدوات قيد الدراسة من مناطق بعيدة عن هذه المراكز، وغير متوافقة مع



الشكل ٣: نماذج لأدوات العصر الحجري القديم الأوسط: ١-٤ نوى وأدوات لفالوازية. المنطقة الشمالية (Gilmore et al. 1982): ٥-٧ نوى ورقائق لفالوازية، ٨-٩ نصال، ١٠-١١ مكشطة جانبية. المنطقة الجنوبية الغربية (Zarins et al. 1981): ١٢ فأس موسستيرية، ١٣ نواة موسستيرية، ١٤ مكشطة قرصية، ١٥ إزميل، ١٦ مكشطة طرفية - المنطقة الغربية (Killick, A. et al. 1981).

وادي السهباء قليلة العدد، كما أن نوع المادة الخام رديئة إلى درجة أثرت في مستوى تشذيبها (Adams et al. 1977: 30). وقد نشر مكلور مؤخراً معلومات عن موقع فريد في نوعه، في الطرف الجنوبي الغربي من صحراء الربع الخالي، وجدت فيه ٣٠٠ أداة، معظمها رؤوس ومكاشط مجنحة. وتمثل الرؤوس جيدة الشحذ من جانب واحد، النوع الغالب. كما كان هناك أيضاً، شظايا ونصال مشذبة ذات أشكال هندسية وسكاكين وأدوات مسننة وأخرى متنوعة. واعتماداً على أشكال هذه الرؤوس، وغياب أي خصائص أخرى تربطها بالصناعات الحجرية المعروفة في صحراء الربع الخالي، ووجود ظواهر طبيعية في منطقة الموقع تشير إلى ارتباطها بالفترة المطيرة نسبياً، التي سادت في المنطقة خلال الفترة ٣٥,٠٠٠ - ٢٠,٠٠٠ قبل الوقت الحاضر، فقد رُجِحَ أن يكون ذلك تاريخاً لهذا الموقع. وأضاف أن هذا الموقع، وإن كان وحيداً، إلا أن أدواته تشبه لحد كبير صناعة بئر الطير، ذات الصبغة المستيرية المنتشرة في شمالي أفريقيا حتى صحراء مصر الغربية، في الفترة بين ٤٠,٠٠٠ و ٢٥,٠٠٠ قبل الوقت الحاضر. وقد ذكر مكلور أن ذلك كان نتيجة لاتصال حضاري بين المنطقتين، على الرغم من أن هذا الرأي قد لا يجد سنداً من واقع هذه المجموعة المحدودة من الأدوات، التي جمعت من بقعة واحدة (McClure 1994: 1-6).

وفي منطقتي الرياض ووادي الدواسر، عُثِرَ على كمية من الأدوات الحجرية من مواقع سطحية، وصفت بأنها من نوع الصناعة المستيرية، بناء على وجود النوى المستيرية وقليل من اللفالوازية، وكذلك المكاشط الجانبية والطرفية، وغيرها من الأدوات المعروفة في هذه الفترة. وأجرى الشارخ مسحاً أثرياً مكثفاً في منطقتي الطراق والدغم، في شمال شرقي الرياض، وهي جزء من المنطقة التي مسحها فريق وكالة الآثار من قبل، حيث ذكر وجود عدد أكبر من مواقع العصر الحجري القديم، إلى جانب منشآت حجرية. وفيما يتعلق بالأولى فقد وصف الشارخ المواقع بأنها ورش لتصنيع الأدوات الحجرية، وذلك لكثرة الشظايا والنوى والمطارق، وكثرة الأحجار مختلفة الأحجام، والقليل جداً من الأدوات

الوضع يطرح العديد من التساؤلات العلمية، التي تصلح لصياغة موضوعات أبحاث مستقبلية.

ومن ضمن مكتشفات المسح الأثري في الإقليم الشمالي، ما وجد في منطقة الجوف وسكاكا من مواقع كثيرة تحوي أدوات حجرية، تنسب للصناعة المستيرية. وتنتشر هذه المواقع السطحية فوق المرتفعات، أو المنحدرات المطلية على الأودية والقيعان، أو بالقرب من السبخات، ومجاري القنوات القديمة. وتتميز هذه المواقع بكثرة بقايا النوى والشظايا والكسر الحجرية، الناتجة عن تجهيز الأدوات، وندرة الأدوات المشحوذة أو المشذبة. والأخيرة، على قلتها، تعد من نوع الأدوات المستيرية النموذجية. كذلك، وجدت نوى من النوع المستيري، قرصية الشكل، وقليل آخر يماثل النوى اللفالوازية المعروفة. ويخلص بار وآخرون إلى أن الجزيرة العربية لم تكن بعيدة عن المناطق الغنية بالصناعات المستيرية، على الرغم من أن ما سمح به البحث يشير إلى توافق محدود، يتمثل في وجود التقنيات الأساسية المعروفة في هذه الفترة (Parr et al. 1978: 35).

وإذا كانت هذه المواقع عبارة عن أماكن أو ورش لتجهيز الأدوات، فإن مواقع أو معسكرات إقامة الصيادين لا تزال تنتظر من يكتشفها مستقبلاً. أما في بقية أجزاء الإقليم الشمالي، فلم يوجد سوى القليل جداً من مثل هذه المواقع. وفي المنطقة الشمالية الغربية لم يكشف المسح الأثري عن مواد مستيرية واضحة المعالم، وإنما كشف عن القليل من الأدوات المبعثرة على السطح، التي يصعب تصنيفها بسبب ما أحدثته فيها عوامل التعرية. وبينما لم تكتشف مواقع تعود للعصر الحجري القديم الأوسط في شمالي الحجاز أو في حسمى، فقد وجد بعضها في منطقة تبوك، وهي تحوي أدوات مستيرية. وعلى الرغم من محدودية هذا الاكتشاف، إلا أنه يشير إلى ضرورة القيام بأبحاث ميدانية أكثر كثافة، من المسح المشار إليه (Ingraham et al. 1981: 65-66).

وفيما عدا عدد محدود من مواقع هذه الفترة عثر عليها على ضفتي وادي السهباء، فإن المسح الأثري لم يوثق مثلها في بقية أنحاء المنطقة الشرقية. وكانت الأدوات من مواقع



(Whalen et al. 1981: 47-49).

قامت دراسة بوردرز على تحليل عدد كبير من مجاميع الصناعات المستيرية، في جنوب غربي فرنسا، حيث أخضعها لمنهجية كانت نموذجية في وقتها. وهي تتناول مجمل الخصائص التقنية والشكلية والمواد الخام وغيرها. كانت مجاميع الأدوات هذه، جمعت من مواقع فيها طبقات متعاقبة، ومؤرخة بطرق علمية. وهي تحوي إلى جانب الأدوات، مواد عضوية وظواهر حضارية أخرى عديدة (Bordes 1961)، ومهما يكن من امر فإن مواقع المنطقة الغربية بالسعودية، تعكس بالفعل صفات مستيرية عامة، إلا أن مطابقتها بأخرى في فرنسا، أمر لا يسنده واقع المعلومات المتوافرة لدينا، في الوقت الحاضر.

وخلاصة القول، أن هذه المجاميع الموصوفة بالمستيرية، تشكل دليلاً قاطعاً على انتشار واسع لتقنيات العصر الحجري القديم الأوسط، في عمق الجزيرة العربية؛ ولكن الدراسة الميدانية تشير إلى أنها، تمثل تقليداً في صناعة الأدوات مختلفاً في كثير من جوانبه عن الصناعات المستيرية المعروفة، في بقية أنحاء الشرق الأدنى. ومن جهة أخرى، فقد أوضح الباحثون أن تقنية تشذيب أدوات الرقائق (الشظايا) المشطورة من نوى تختلف -عن المستيرية التقليدية قد استمرت لفترة طويلة، بل كانت هي الأكثر شيوعاً في المملكة العربية السعودية. ويرى هؤلاء، أيضاً، صعوبة الجزم بتصنيف محدد لهذه المجاميع، في ضوء المعلومات المتاحة من الدراسة المبدئية، التي اعتمدت، في الغالب، على الملاحظات الميدانية (Zarins et al. 1979: 15,16, Zarins et al. 1981: 16-18, Zarins et al. 1982: 30). وانطلاقاً من هذه الإشارات، تتضح الحاجة الماسة لتناول موضوع الصناعات الحجرية المنسوبة للعصر الحجري القديم الأوسط بدراسة تحليلية موسعة، تقوم على حصر السمات الشكلية والتقنية وقياسات أبعاد الأدوات ونوع المواد الخام، والاستعانة في ذلك بالمنهج والنماذج الإحصائية/ الرياضية واستخدام الحاسب الآلي. وبذلك يمكن التوصل إلى تعريف موضوعي لتقاليد صناعة الأدوات الحجرية خلال هذه الفترة، وتحديد سماتها المميزة وإمكانية

المشحوذة. ومن المتوقع، بطبيعة الحال، أن تكون الأدوات المشحوذة قد أخذت إلى أماكن أخرى. وبعد عمل الدراسة التحليلية لعناصر هذه المادة، توصل الشارخ إلى أنها تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط، بناءً على مواصفات تقنية وشكلية، وكذلك لخلوها من الفؤوس الأشولية، على الرغم من ندرة الأدوات المشحوذة التي تمثل الأساس، عادة، في تحديد الفترة الزمنية للمعثورات (-Al-Sharekh 1995: 70,114). وفي الإقليم الجنوبي الغربي اكتشف أيضاً عدد من المواقع التي تحوي أدوات مستيرية تعكس الخصائص النوعية والتقنية نفسها. وتشمل تلك الأدوات المشحوذة، الشظايا اللفلاوزية، ونسبة عالية من المكاشط بأنواعها المختلفة، والمناقيش، والرؤوس، والمثاقب، إضافة إلى قليل من الفؤوس اليدوية في بعض المواقع (الشكل ٣). وقد وجدت هذه المواقع المستيرية في وادي حما، ووادي تثليث، وأودية جنوب ظهران الجنوب وعلى ساحل البحر الأحمر (Zarins et al. 1981: 16-18).

وفي المنطقة الغربية أثمر المسح الأثري عن اكتشاف أربعة عشر موقعاً، وُصفت بأنها من النوع المستيري. وكانت المعثورات الحجرية المكتشفة محدودة العدد، إذ يبلغ متوسطها ثلاثين قطعة في أحد عشر موقعاً، وما يقل عن مائة قطعة، في موقعين آخرين، ما يجعل التصنيف والمقارنة في غاية الصعوبة. وتعكس الأدوات المشحوذة على قلتها، بصفة عامة، سمات الصناعة المستيرية، وأشكال أدواتها المعهودة. أما الموقع الأخير، ٢١٠-٢٢٢، فهو الأوفر حظاً في عدد الأدوات المشحوذة، إذ تبلغ ٢٣٥ قطعة، معظمها مكاشط متنوعة، تليها الأدوات المسننة، وذات الثلب، وقليل من الفؤوس اليدوية. وبسبب وجود الأخيرة ضمن الأدوات المستيرية الأخرى، حاول هويلن وآخرون مقارنتها بما يعرف بالمستيري ذي التقليد الأشولي، وهو أحد نماذج الصناعات المستيرية، التي عرّفها فرانسوا بوردرز، في مطلع الستينات من القرن الماضي. لقد وجد هويلن وآخرون الشبه كبيراً، بين الاثنين، خاصة بعد استبعاد بعض أنواع الأدوات من قائمة أدوات موقع (Pech de L'Aze)، في فرنسا، ولا تتوافر في الموقع ٢١٠-٢٢٢، الأمر الذي يضعف من قيمة نتيجة هذه المقارنة، على كل حال

مقارنتها بغيرها .

ويتفق الباحثون، الذين أجروا المسح الأثري لمواقع العصور الحجرية في المملكة، على خصوصية الجزيرة العربية بصفة عامة، خلال هذه المرحلة من مراحل العصور الحجرية حيث لم يُكشف بعد عن مواد أثرية، تعكس الخصائص آنفة الذكر. وتشير الأدلة المتوافرة إلى أن هذه الفترة الزمنية، ربما سادت فيها تقاليد في تجهيز الأدوات كانت استمراراً طبيعياً للفترة الحضارية السابقة (Zarins et al. 1982: 30, Gilmore et al. 1982: 12-13, Parr et al. 1978: 35-36).

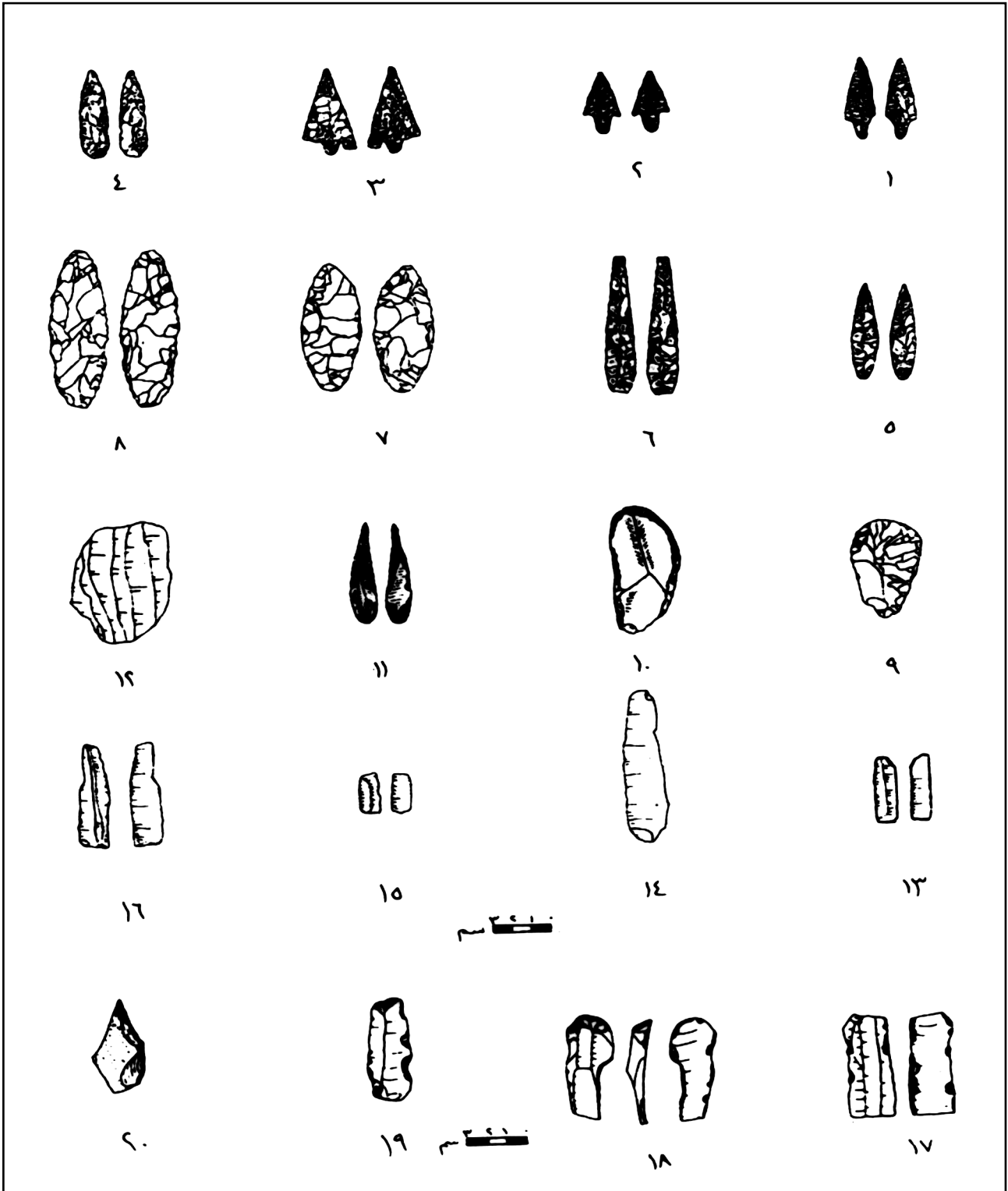
وعلى الرغم من ذلك، فإن المسوحات الأثرية كشفت عن وجود مواقع في مناطق متفرقة من المملكة، تحوي أدوات هي مزيج من الصناعة المستيرية، وبعض الأدوات والنوى النصلية، وهي مجاميع يصعب تحديد موقعها، في تسلسل الصناعات الحجرية المعروف. ويعتقد بعض الدارسين أن الصناعة المستيرية، مع ما أضيف إليها، استمرت لفترة حتى حلول الجفاف في نحو ٢٠,٠٠٠ قبل الوقت الحاضر واستمراره، إلى أن تحسنت الأحوال البيئية في نحو ٩٠٠٠ قبل الوقت الحاضر (Zarins et al. 1981: 19). أما تصنيع النصال وشحن الأدوات في أشكال ورقية، فقد ازداد انتشاراً في المرحلة التالية للعصر الحجري القديم، في أكثر من مكان في المملكة. ومهما كان تأثير الأحوال المناخية، فإن المعطيات الحالية تجعل مشكلة العصر الحجري القديم الأعلى معلقة، حتى إجراء دراسات مفصلة للصناعات المستيرية المذكورة، ولتلك التي وصفت بأنها تحمل صفات مشتركة بين مرحلتين، مثلما هو الحال في بعض المواقع في بئر حما أو وادي تثليث.

إن إشكالية ظهور تقنيات العصر الحجري القديم الأعلى، ليست مقصورة على المملكة؛ فالأمر نفسه يتكرر في أكثر من مكان من دول الخليج العربي، وبعض بلدان شرقي أفريقيا. ففي السودان، على سبيل المثال تنحصر صناعات العصر الحجري القديم الأعلى النصلية، بشكلها التقليدي المعروف، في أقصى الشمال بينما تنعدم في بقية القطر، ولا تظهر إلا في المرحلة الفاصلة، بين العصر الحجري القديم والحديث وذلك في مناطق محدودة. كما اتضح، أيضاً، أن الصناعات الحجرية المعتمدة على شطر الشظايا دون النصال، هي التي

### العصر الحجري القديم الأعلى

تُعد هذه الفترة (٤٠,٠٠٠ - ١٠,٠٠٠ قبل الوقت الحاضر) من أهم الفترات الحضارية في العصر الحجري القديم، نسبة لما حققه الإنسان خلالها من ابتكارات تقنية وفنية، مع تمكّنه من تحسين أنماط الاقتصاد المعيشي، وتوفير الأدوات المناسبة، لتأمين القدر المطلوب من الغذاء، لمجموعات الصيادين المتزايدة في أعدادها. وفي هذه الفترة عمّ الاستيطان البشري جميع أنحاء المعمورة، بما في ذلك العالم الجديد (أمريكا وأستراليا). فالأدوات الحجرية المتنوعة، صارت تصنع من أنصال طويلة متوازية الأضلاع ورفيعة السمك، وأصبحت تدريجياً شفرات رفيعة ودقيقة الشحذ، الذي ينفذ بواسطة الضغط. ويحصل على هذه النصال من نوى هرمية الشكل تجهز بحيث يشطر النصل في اتجاه طولي واحد، من قاعدة معدة سلفاً .

ومن الأدوات المعروفة في هذه الفترة: المكاشط، والسكاكين الرفيعة، والنصال المطهرة، ذات الأشكال الهندسية والمنافيش والمثاقب الرفيعة. وأضاف إنسان تلك الفترة إلى معداته، الأدوات العظمية، مثل: الخطاطيف والإبر والرؤوس المدببة. وتشير الأدلة الأثرية، أيضاً، إلى التنوع في مواد الغذاء، وطرق إعداده؛ فشمّل الصيد البري، والطيور، والموارد المائية، والحبوب البرية، وغير ذلك مما تنتجه البيئة. كذلك لوحظ التوسع في بناء الأكواخ في شكل مجموعات، مثلما كانت الكهوف ملاجئ للإنسان في المناطق الباردة في أوروبا، على سبيل المثال، حيث ترك فيها نماذج للفنون الرائعة، تتمثل في اللوحات الملونة والرسوم المحفورة على الجدران. ومن نماذج الفنون المنقولة، المنحوتات الأدمية والحيوانية المصنوعة من العظم والحجر والعاج وغيرها، وأدوات الزينة، كقلادات الخرز والأساور العاجية. وقد شهدت مناطق الشرق الأدنى معظم هذه التطورات الحضارية، وأسهمت فيها بقدر كبير. ومثل غيرها من مناطق العالم القديم، تتباين هذه المناطق في تجاربه المحلية بين إقليم وآخر، بسبب أحوال البيئة وتوفر المواد الخام (Redman 1978: 59-71).



الشكل ٤: نماذج لأدوات العصر الحجري الحديث: ١-٣ رؤوس أسهم، ٤-٨ أدوات ورقية الشكل، ٩-١٠ مكاشط، ١١ مثقب. الريع الخالي (Edens 1982) ١٢ نواة نصلية، ١٣ - ١٥ نصال/ شفرات، ١٦ منقاش. كلوة (Gilmore et al. 1982) ١٧ نصل، ١٨-١٩ أدوات مركبة نصلية، مكشطة برأس مدبب. أم وعال (Adams et al. 1977).

في وقت واحد. كما أنه ليس بالضرورة أن توجد كلها في مجتمع واحد. ومن المتفق عليه، أيضاً، وجود مستويات من التنوع الثقافي في أقاليم المنطقة المختلفة، إذ كان لكل إقليم تجربته المحلية، التي أثرت فيها عدة عناصر تتصل بالبيئة الطبيعية، والمستوى التقني، ودرجة الاتصال بين المجموعات السكانية، ومعدلات التراكم الحضاري. وأكدت الأبحاث الميدانية المتخصصة في كثير من بلدان الشرق الأدنى بوضوح، أن تعاقب التطورات والابتكارات الحضارية، خلال فترة العصر الحجري الحديث، لم تكن، بصفة عامة، تسير في خط أحادي، بل إن تعبيراتها المادية لم تكن متساوية في كل الأحوال (Redman 1978: 88-87). ولم تكن هذه الملاحظات بعيدة عن أذهان الذين درسوا آثار هذه الفترة في المملكة، حيث عبروا عن آرائهم وتقييمهم لما وجدوه، من خلال هذه الملاحظات.

اكتشفت آثار العصر الحجري الحديث في أماكن متفرقة من المملكة، ونُشرت عنها مقتطفات منذ أكثر من نصف قرن؛ ولكنها لم تلفت انتباه المجتمع العلمي بدرجة كافية. ولم يحدث ذلك الأمر إلا بعد أن اكتُشف فخار حضارة العبيد في المنطقة الشرقية، في أوائل الستينات من القرن الميلادي الماضي (مصري ١٩٨٤ : ٧٩).

وقد أثار اكتشاف فخار العبيد، المعروف أصلاً في جنوب بلاد الرافدين (الألف الخامس قبل الميلاد)، في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، على امتداد الساحل الغربي للخليج، أسئلة كثيرة، اختلف حولها العلماء عند محاولاتهم إعطاء تفسير لهذه الظاهرة، المتمثلة في التشابه في نماذج الفخار، في الوقت الذي لم تتل فيه بقية المخلفات المادية الأخرى الاهتمام نفسه. فحضارة العبيد في العراق تنقسم إلى خمس مراحل (صفر - ٤)، وذلك بناء على تاريخ المواقع، وتصنيف محتوياتها من مبانٍ ومعثورات فنية، وأدوات حجرية، وأوانٍ فخارية. ويذكر أن حضارة العبيد بدأت في الألف السادس ق. م، حيث عُرفت بثراء تراثها المادي، المتمثل في المنجزات الاقتصادية، القائمة على الزراعة وتربية الحيوان والصيد البري والبحري وتبادل الموارد المختلفة. واشتهرت العبيد بفخارها الصلب، جيد الحرق والمدهون،

استمرت حتى نهاية العصر الحجري القديم (Elamin 42-44: 1987).

### العصر الحجري الحديث:

عند نهاية العصر الجليدي الأخير في نحو ١٠,٠٠٠ قبل الوقت الحاضر، انحسر الغطاء الجليدي، وسادت العالم أحوال مناخية جديدة (عصر الهولوسين)، كانت عظيمة الأثر في حياة سكانه. فالجفاف، الذي غطى مناطق واسعة، دفع بجماعات وأخر العصر الحجري القديم، إلى التجمع في المناطق ذات الوفرة المائية والطبيعية. وتشير الأبحاث، التي أجريت على مدى أكثر من نصف قرن، إلى تحولات حضارية مهمة حدثت في مسيرة التاريخ البشري، أجمع الباحثون على تسميتها بفترة العصر الحجري الحديث، أو مرحلة إنتاج القوت. واجتمعت عدة أسباب لإحداث هذا التحول؛ فمع التغير البيئي، يُشار إلى التفوق التقني، والزيادة السكانية، والتراكم الحضاري. كما يتفق العلماء على أن منطقة الشرق الأدنى تحققت فيها هذه التحولات المهمة، في تاريخ مبكر نحو الألف التاسع قبل الوقت الحاضر. وخلال هذه الفترة تمكن الإنسان من استئناس الحيوان، وتدجين النبات، وصناعة الفخار، وتطوير الأدوات المصقولة الجديدة والفنون، ما أحدث نقلة نوعية في أنماط الاقتصاد المعيشي، وأساليب الحياة الاجتماعية والعقائدية والثقافية.

وكان من نتائج الاستغلال المكثف للموارد الغذائية الجديدة، نمو التجمعات السكانية الكبيرة، التي أنشأت القرى الزراعية الأولى، التي تحولت في وقت وجيز إلى بلدات ومدن كبيرة، توجتها التجربة الإنسانية بظهور الكتابة وأنظمة الحكم المركزي والإدارة والتجارة والمعتقدات الدينية، عندما دخل المجتمع الإنساني ما يسمى بعهد الحضارات القديمة، في مطلع الألف الرابع قبل الميلاد. ومن المتفق عليه في الدراسات الأثرية، أن معرفة الإنسان بالزراعة وتربية الحيوان وصناعة الفخار، تمثل -ضمن أشياء أخرى- السمات الحضارية لفترة العصر الحجري الحديث. وفي الوقت نفسه يشير مجمل الأبحاث في المنطقة إلى أن ذلك التحول الحضاري، كان تدريجياً، ولم تنجز كل تلك الخطوات

ويرى عبد الله مصري أن وجود فخار العبيد في الخليج العربي وجنوبي الرافدين، دليل واضح على وجود اتصالات حضارية بين شعوب المنطقة، كانت أسبابها بيئية أكثر منها تجارية. وخلص في أبحاثه إلى أن أصل فخار العبيد يعود إلى شرقي المملكة، حيث استغلت تقنية تصنيعه بواسطة أقوام من المنطقة، لينشروه في جنوبي الرافدين (مصري ١٩٨٤: ٨٥-٨٧).

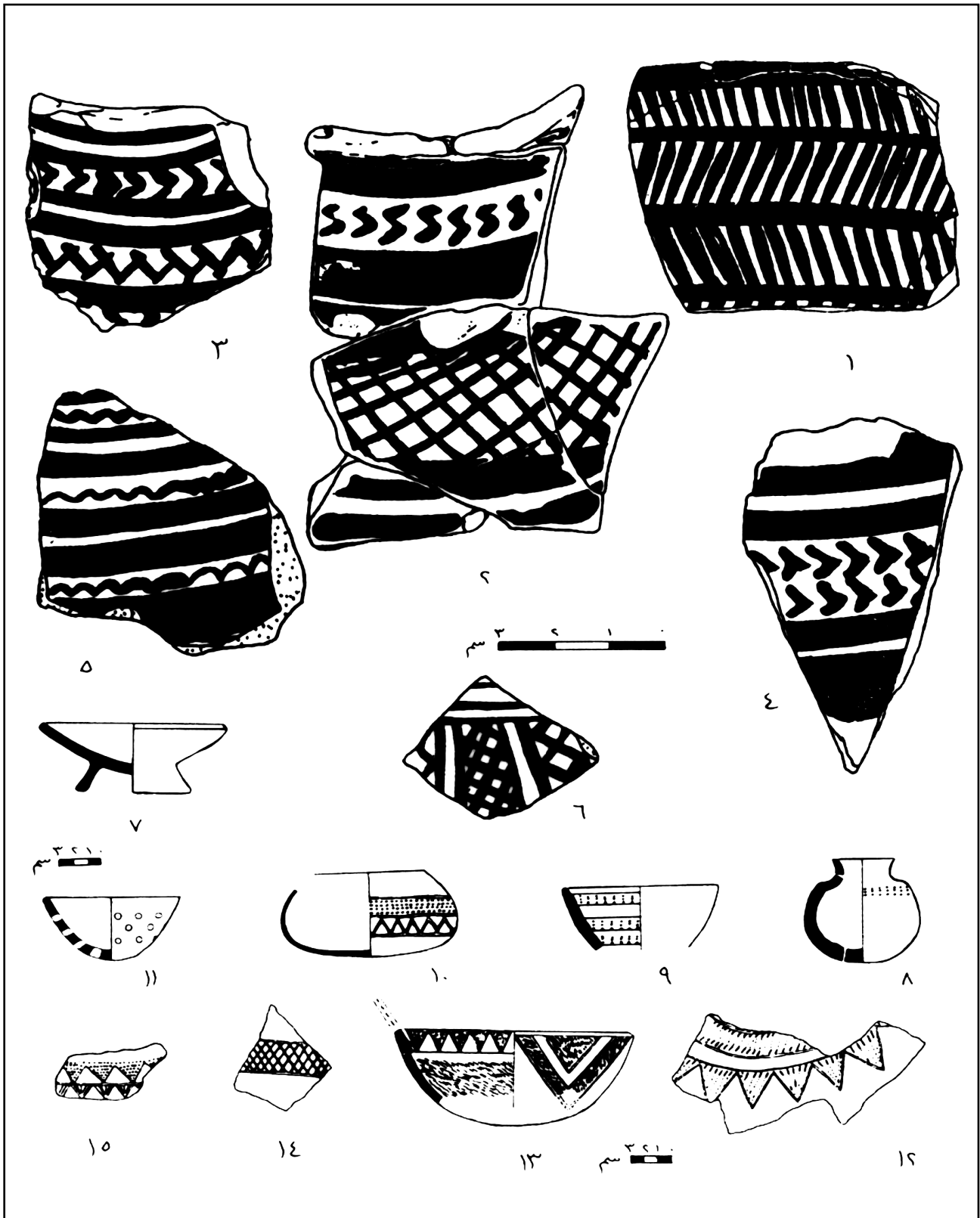
أما الرأي الآخر حول أصل فخار العبيد وظهوره في المنطقة الشرقية، فقد طرحه جوان أوتس وآخرون عندما توصلوا، بناء على تحليل علمي للمكونات الطبيعية لنماذج كسر فخارية من عدد من المواقع من المنطقتين، إلى أن فخار العبيد في المنطقة الشرقية صنع في جنوبي بلاد الرافدين، بل أنهم ذكروا أن عدداً من الكسر صنعت في أور، على وجه التحديد. أما الفخار الأحمر الخشن، فهو إنتاج محلي (Oates et al.: 1977).

وتشير نتائج دراسة لاحقة قام بها رووف وقالبيرث، إلى أن الأساليب الإحصائية، التي استعملتها أوتس وآخرون، وكذلك تحليلهم لبعض أنواع الفخار، فيها بعض الأخطاء، ما أدى إلى خطأ في النتائج السابقة، مثل أن تكون أور هي المصدر الفعلي لتصنيع الفخار. وقد رجّحت هذه الدراسة الحديثة، في النهاية، الرأي القائل بأن منطقة جنوبي الرافدين هي المصدر الأول لهذا الفخار. وقد أُشير أيضاً، إلى أن مصنوعات حضارة العبيد غير الفخارية، لا توجد في مواقع الخليج، التي تغطي على أدواتها الحجرية تلك الأنواع الخاصة بمهمات الصيد والجمع، في شواطئ الخليج. كذلك، فإن العناصر المادية الأخرى في مواقع مثل عين قنص، هي الموجودة، قبل ظهور فخار العبيد وبعده، ومن ثم فإن هذه المواقع ليست معسكرات لمجموعات جاءت من جنوبي الرافدين لاستغلال موسمي لموارد الخليج، وإنما هي أماكن إقامة لسكان محليين، جاءتهم نماذج فخار العبيد في شكل أوانٍ استُبدلت ببعض الموارد المحلية (Roaf and Gal- 1994: 770-83).

تتميز مواقع المنطقة الشرقية، التي تعود لهذه الفترة، عن غيرها في أرجاء المملكة، بكثرة المواد الأثرية المكتشفة فيها،

وذي الألوان الرائعة. ومن أنواع الفخار المهمة، الجرار والصحون والأباريق والكؤوس، المزينة بالخطوط والأشكال الهندسية والنباتية والحيوانية والأدمية. وفي المراحل المتأخرة، ابتكر الدولا ب لاستعماله في صناعة الأواني الفخارية. كذلك، ازدهرت تقنيات النحت والتشكيل ومختلف ضروب الفنون. وفي مستوطنات العبيد عُرفت المباني السكنية ذات التخطيط المعماري المتميز. وقد توسعت المستوطنات لتتوزع في أحياء تكشف عن تنظيم اجتماعي معقد. ومن المنشآت المعمارية، المباني الدينية البسيطة، التي تطورت إلى معابد ضخمة تمثل رموزاً لمكانة الدين في المجتمع (Masry 1974: 96-142).

وقد اكتشف في شرقي المملكة العشرات من المواقع، التي تحوي بعض أنواع فخار العبيد، وهي مستوطنات متباينة الأحجام؛ فبعضها معسكرات إقامة محدودة، وبعضها الآخر أماكن إقامة طويلة، كما يدل عليها مستوى تعاقب الطبقات وكثافة المواد الأثرية. ومن المواقع المهمة، التي حظيت بدراسة مفصلة، موقع الدوسرية الأقدم تاريخاً، والذي تحوي طبقات الرديم فيه أدوات حجرية، مثل تلك المعروفة من الفترة نفسها في شرقي المملكة، مثل رؤوس السهام والحراب والأدوات المصقولة والشفرات الرفيعة. إضافة إلى فخار العبيد، كانت هناك نماذج أخرى لفخار محلي، من النوع الخشن أحمر اللون. وضمن المكتشفات كانت هناك، أيضاً، عظام حيوانات مستأنسة، مثل الضأن والماعز والأبقار وأخرى برية. والموقع الثاني عين قنص، وهو مستوطنة صغيرة بالقرب من واحة الليون، وتحوي طبقاته السفلى مواد تعود إلى عصر ما قبل الفخار، تليها أخرى فيها أنواع من فخار العبيد، وأدوات حجرية، مثل رؤوس السهام والمكاشط الورقية الشكل والشفرات. أما الموقع الثالث فهو أبو خميس، ويقع شمالي الدوسرية ويعد الأكثر وفرة في المواد الأثرية، مثل الأدوات الحجرية وفخار العبيد ونماذج أخرى من الفخار الخشن (الشكل ٥). وتوجد كميات من عظام الغزال والضأن والماعز والأسماك، وكذلك الأصداف البحرية. ويؤرخ الموقع إلى نحو الألف الرابع قبل الميلاد (Masry 1974: 99-108, 141-205).



الشكل ٥: نماذج لفخار العصر الحجري الحديث: ١-٦ زخارف فخار العبيد بالمنطقة الشرقية (Masry 1974). ٧-١٥ أواني وزخارف من فخار سهي، تهامة (Zarins et al. 1985).

وتشمل قائمة الأدوات عدة أنواع، منها: رؤوس السهام مشحوزة الوجهين، أو وجه واحد، من النوع الشوكي ذات الغمد، وأخرى مدببة ثلاثية المقطع. وهناك مجموعة الأدوات ذات الأشكال الورقية والرمحية، وكلها مشحوزة الوجهين. وتأتي بعدها مجموعة المكاشط، ومنها الأمامية واللفية والدائرية والجانبية، وأخيراً هناك أدوات أخرى خفيفة، كالمثاقب والمخارز (الشكل ٤). كذلك، تتضمن المجموعة كسر أحجار من الكوارتزيت، عبارة عن بقايا رحي لا يُعرف تحديداً مجال استخدامها. ويذكر ايدنز أن تعدد الأنواع في هذه المجموع، يشير إلى أنها تعكس استخدامات متنوعة، ما يعني أن هذه المواقع كانت معسكرات أقام فيها الصيادون، ومارسوا فيها الأنشطة الحياتية المختلفة، خلال الفترة الممتدة ما بين الألف السادس والألف الرابع قبل الميلاد، اعتماداً على التواريخ المتحصل عليها من ترسبات البحيرات القديمة في المنطقة. وقد وُجد القليل من عظام الحيوانات، التي تم صيدها، مثل: الغزلان والماعز، وأخرى غير معروفة. وتوضع الدراسة عدم وجود دليل على استئناس الحيوان، أو صناعة الفخار. ويخلص الباحث إلى أن هذه الأدوات تمثل تقليداً في صناعة أدوات العصر الحجري الحديث، ينتشر في مواقع شمال شرقي الربع الخالي، وفي المنطقة الشرقية، وقطر، وحتى المرتفعات الجنوبية من أطراف الربع الخالي (Edens 1982: 109-123).

كان من نتائج المسح الأثري في منطقة الرياض، اكتشاف عدد من المواقع وجدت فيها معثورات حجرية، تنتمي إلى الأفق الحضاري نفسه، الذي وجد في الربع الخالي، والمنطقة الشرقية، وجبل طويق. وهي تعكس تقليد صناعة الرؤوس مشحوزة الوجهين، والشوكية ذات الغمد، والأدوات ذات الأشكال الورقية، إضافة للشفرات المشحوزة، والشظايا، والمكاشط، والنوى. وتوزع المواقع على أربع بيئات، هي: مصاطب الأودية المنخفضة، وشواطئ البحيرات القديمة، وفوق التلال الرملية، وأخيراً مرتفعات الحجر الرملي. وإضافة للأدوات الحجرية، وجد في بعض المواقع القليل من كسر بيض النعام، وأدوات الطحن (الرحى)، وكذلك خرزة واحدة من الصدف، ربما جلبت من الخليج. وفي الموقع

وتنوعها وتعدد طبقات المعثورات، التي أمكن الحصول على تواريخ علمية لها. كذلك، تتوافر للباحثين إمكانية معرفة التقدم، الذي أحرزته هذه المجموعات السكانية، في عمليات إنتاج القوت واستغلال الموارد البرية والبحرية، على السواء، وتبادل المواد مع مجموعات أخرى، من سكان الخليج العربي وحتى جنوبي الرافدين. أما مواقع العصر الحجري الحديث في بقية مناطق المملكة، فمعظمها مواقع سطحية وتنقصها المواد العضوية والفخار، ما جعل كثير من الباحثين يتحدثون عن إشكالية في تحديد المعالم الحضارية، لهذه الفترة في المملكة؛ إذ الأدلة الماثلة لا تشير بوضوح إلى إنتاج القوت. ويعزي بعضهم ذلك إلى الأوضاع البيئية في المنطقة، واعتماد أنماط للمعيشة تختلف عن المجتمعات الزراعية (محمد علي ٢٠٠٠: ١٢١). ومهما يكن من أمر، فإن التوزيع الجغرافي للمواقع، التي نسبت لهذه الفترة وعناصر محتوياتها من الأدوات الحجرية، التي تختلف عن العصر السابق تماماً وارتباطها ببعض المنشآت الحجرية البسيطة وبقايا الأكواخ، تدل، دون شك، على وجود مجموعات سكانية في مستوطنات ذات كثافة مناسبة، في بعض مناطق المملكة. لقد استغلت هذه الجماعات الموارد المتاحة، عندما كانت الظروف الطبيعية موالية؛ فمناطق صحراوية، كالربع الخالي والنفود والدهناء كانت صالحة للعيش، بسبب تعاقب الأحوال المناخية الجيدة، التي أشرنا إليها أعلاه. وهي مناطق أمدتنا بمعطيات أثرية تميزها عن غيرها من المناطق الساحلية، أو الشمالية، في المملكة، في هذه الفترة الحضارية نفسها. وقد أنجز ايدنز دراسة تحليلية مجاميع أدوات حجرية من أربعة مواقع في الربع الخالي الغربي، هي: جلدة وشرورة والمتبطحان والمندفن، جمعت في أوقات سابقة وهي تمثل نموذجاً لأدوات العصر الحجري الحديث، في كل أنحاء الربع الخالي، والمنطقة الشرقية، وبعض أجزاء المنطقة الوسطى. إن التقنية الأساسية، التي تعكسها هذه المجموعة، هي تشذيب الأدوات في الوجهين، ومنها أنواع مختلفة من رؤوس السهام المدببة، وأخرى ذات أشكال ورقية، ويتم التشذيب بواسطة الضغط أو المطرقة الخفيفة، وهو أسلوب معروف في الجزيرة العربية، يميز تقنيات أدوات العصر الحجري الحديث.

وهي تماثل، بصفة عامة، أدوات العصر الحجري الحديث، قبل الفخار في بلاد الشام المؤرخ في حدود الألف الثامن قبل الميلاد. وتعد هذه الأدوات من أقدم الأدوات النصلية المعروفة في المملكة (Adams et al. 1977: 34، شكل ٤). وقد وجد عدد من المواقع المماثلة فوق كَثبان النفود، فيها نصال وشفرات صغيرة ومخارز وقليل من رؤوس السهام. ولاحظ الباحثون وجود أنواع أدوات أخرى مختلفة، مختلطة مع سابقة الذكر، إضافة لقطعتين من الفخار. ومن المرجح أن تكون هذه المجموعة عائدة لفترة العصر الحجري الحديث المعدني (النحاسي/ الكالكوليثيك).

ومن الملاحظ أن مواقع العصر الحجري الحديث في المنطقة الشمالية، لا ترتبط بمبانٍ مثل الدوائر الحجرية والدوائر الحلقية؛ بينما نجدها ضمن مخلفات مواقع العصر الحجري الحديث النحاسي (الألف الرابع قبل الميلاد). إن محتويات بعض هذه المواقع شبيهة، بمواقع الفترة نفسها في بلاد الشام، التي يوجد فيها من الأدوات المكاشط المتنوعة والمثاقب والسواطير... الخ. وتنتشر هذه المواقع بكثرة في المنطقة الممتدة من شمال وادي السرحان حتى حائل، وجنوباً حتى الكهيفية كما توجد في المنطقة جنوبي النفود. ويقدر تاريخ هذه المنشآت بالألف الرابع أو بداية الألف الثالث ق. م (Parr et al. 1978: 36-40). وتنتشر في هذه المنطقة، أيضاً، أنواع أخرى من المنشآت الحجرية، ذات الأشكال المربعة والمستطيلة، والنُصب، والركامات الحجرية، والجدران المذيبة. ومن الممكن تقسيم هذه المنشآت إلى أنواع مختلفة، حسب تفاصيلها المعمارية ومستوى رصف الأحجار. وتمثل المنشآت الحجرية، بصفة عامة، ظاهرة أثرية يحفظها الغموض، وتشير كثيراً من الأسئلة. فهي من ناحية جغرافية واسعة الانتشار، وتوجد في بيئات مختلفة، كما أنها تتباين في أشكالها ومستوياتها المعمارية. وهناك صعوبة حقيقية في الحصول على تواريخ مؤكدة لها، لخلوها، عادة، من المواد القابلة للتأريخ العلمي، أو معثورات أخرى يمكن تقدير أعمارها. وهي، عموماً، تغطي فترة زمنية طويلة، تمتد من العصر الحجري الحديث النحاسي، حتى تاريخ قريب. وعلى الرغم من إجراء قليل من الدراسات المنهجية حولها (AI-

٢٠٧-١٠٢) وجدت قطعة صغيرة من الخبث المعدني، ربما تُعد دليلاً على تصنيع النحاس. ومن ضمن الموجودات، أيضاً، كسر فخار من النوع الأحمر الخشن. ويعتقد أن هذا الموقع يمثل مرحلة متأخرة من العصر الحجري الحديث، الذي يمتد زمنه في المنطقة من ٥٠٠٠ حتى ٢٠٠٠ ق. م. ويفيدنا الباحثون أن وصفهم لهذه المواقع، أو نسبتها للعصر الحجري الحديث، كان انطلاقاً من نوع الأدوات الحجرية وتقنية صناعتها، وليس لأي خصائص أخرى تتعلق بأساليب الاقتصاد المعيشي، التي تتسم بها هذه الفترة في بلاد الشام، على سبيل المثال (Zarins et al. 1982: 30-2).

وفي المنطقة نفسها، وبالقرب من قرية الثمامة، اكتشف موقع أثري، وصف بأنه يمثل بقايا أهم مستوطنة تعود لفترة العصر الحجري الحديث في نجد. وقد كانت هذه القرية، حسب وصف المنقبين، مأهولة في الفترة ٥٠٠٠ - ١٠٠٠ ق. م. ، التي شهدت خلالها أكثر من فترة حضارية، بدءاً بالعصر الحجري الحديث حين اعتمد الناس على الزراعة وتربية الحيوان والصيد؛ ولكنهم لم يتمكنوا من صنع الفخار. ولم يذكر الباحثون دليلاً على الزراعة، أو استئناس الحيوان. واتخذوا من نوع الأدوات الحجرية مؤشراً لنسبة الموقع لهذه الفترة. ومن الأدوات الحجرية: الحراب والرؤوس مشحودة الوجهين، والمخارز، والنصال، إضافة لبقايا منشآت بدائية عبارة عن أكواخ دائرية بسيطة. يلي ذلك مرحلة استعملت فيها المباني الدينية، مثل الأبنية الشريطية أو الدائرية أو المستطيلة، وعدد من المدافن. ويستمر الاستيطان في المنطقة حتى الفترة التاريخية (أبو درك وآخرون ١٩٨٤: ٩٧-١٣). إن ارتباط المنشآت الحجرية بمواد العصر الحجري الحديث، ظاهرة متكررة في أكثر من مكان في المملكة ولم يجر حولها استقصاء دقيق حتى الآن. كما أن النتائج، التي توصل إليها فريق البحث المذكور، تحتاج، هي الأخرى، إلى مراجعة متعمقة، خاصة ما يتعلق بإنتاج القوت وتاريخ الموقع<sup>(١)</sup>.

وفي المنطقة الشمالية، وجدت مجموعة من المواقع بين المجمععة وشمال شرقي سكاكا، (وادي عرعر) وفي جبل أم وعال، تشتمل الأدوات الحجرية فيها على النصال المشحودة على الظهر أو الجانب، والمناقش، والنوى الهرمية الشكل.



و ٢٠٥٠٠ ق.م. وقد عرفت مواقع العصر الحجري الحديث في أجزاء متفرقة من المنطقة الجنوبية الغربية؛ ففي بئر حما، غربي جبل طويق، وفي شمالي نجران، ووادي ثليل، ومرتفعات عسير من جبل السودة، والمنخفضات حتى غربي نجران، وجدت أكثر هذه المواقع. وتشمل الأدوات الحجرية: النصال، والشفرات، والرقائق المشحودة، والمكاشط الجانبية والطرفية، وأدوات ثنائية الوجه، ورؤوس الحراب النصلية، والرؤوس المجنحة والشوكية.

ومن الملفت أن الأدوات صُنعت من صخور مختلفة الأنواع، تشمل: الكوارتزيت الأبيض، والشيرت، والحجر الرملي، والأوبسيديان، وحجر الصوان، وبعضها جلب من أماكن بعيدة عن هذه المواقع. ومن المعثورات، أيضاً، بقايا بيض النعام، وعظام الحيوانات المتكلسة، كذلك كسر أحجار الرحي وأواني الحجر الصابوني. وهناك، أيضاً، منشآت بسيطة البناء، عبارة عن دوائر حجرية صغيرة ورسفات أحجار مواقد النار. ولم يكشف المسح الأثري عن وجود مواقع مماثلة في المنطقة الممتدة من تهامة، حتى ساحل البحر الأحمر، عدا أدوات حجرية متناثرة، فوق مساحات واسعة. وبناءً على نوع تلك الأدوات، قَدِّر تاريخها إلى فترة الألف الخامس/ الثالث ق.م. ويمثل أسلوب تشكيل أدوات العصر الحجري في عسير، تنوعاً آخر من تقنيات تلك الفترة في المملكة. وتفتقد هذه المواقع في المناطق الداخلية، الفخار مثل غيرها. وعلى النقيض من ذلك، فقد وجد الفخار ضمن المكونات الحضارية للمواقع المكتشفة على ساحل البحر الأحمر، التي وصفت بأنها ركامات من الصدف والمحار. ولم يتمكن الباحثون من تحديد العلاقة التاريخية أو الحضارية، بين مواقع أكوام الصدف ومواقع العصر الحجري الحديث في عسير.

ومن أكبر مواقع ساحل تهامة موقع سهي (٢١٧-١٠٧)، الذي يبعد نحو ٤٠ كلم من الحدود اليمنية. والموقع عبارة عن كوم من المعثورات مساحته ١٥٠×١٥٠م، ويبعد عن الشاطئ الحالي بنحو ٦٠ متراً. ومن ضمن المعثورات كمية كبيرة من كسر الفخار، ذات اللونين الأحمر والبرتقالي، والعجينة الفخارية، ممزوجة بحبيبات الرمل الخشن. ومن أنواع الفخار البارزة، وجدت سلطانيات كاملة أو مكسورة، وهي متنوعة

، فهي لا تزال مصدر إشكاليات علمية، تتعلق بانتشارها ووظائفها وتاريخها. وهذه موضوعات سوف تظل تشغل بال العاملين في حقل الآثار السعودية لوقت طويل. اكتشفت بعثة وكالة الآثار والمتاحف في المنطقة الشمالية الغربية، عدداً من مواقع العصر الحجري الحديث، التي تشبه محتوياتها من الأدوات الحجرية تلك التي سبق وصفها في الإقليم الشمالي ومثيلاتها، من الفترة نفسها بالأردن. ومن أهم هذه المواقع الموقع (٢٠٠-١٠٤) في شمال غربي تبوك بالقرب من العيينة، حيث وجدت المخلفات الأثرية فوق تل صغير يطل على قاع بحيرة. وتشمل الأدوات الحجرية النصال الرفيعة، والشفرات الصغيرة، والأدوات القزمية، والرؤوس والأدوات ذات الشكل الهلالي. وقد وجدت هذه الأدوات منتشرة داخل الدوائر الحجرية. وهي، عموماً، مماثلة لأدوات العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار، في الأردن وفلسطين.

ومن ضمن المعثورات السطحية، أيضاً، وجدت أحجار الرحي وعظام الطيور، كما كشف عن أساسات لمبانٍ مهدمة من الحجارة، عبارة عن غرف مختلفة المساحات، وأسوار وفناءات. ويبدو من حجم المنشآت أنها كانت مستوطنة شبه مستقرة، أقيمت في تاريخ مبكر نسبياً، يقدر ببداية الألف الثامن أو السابع ق.م. وهذا الموقع شبيه بتلك المواقع الشمالية، مثل أم وعال وغيرها في وادي عرعر ووادي السرحان وكولة. وفيما يتعلق بمواقع العصر النحاسي في هذه المنطقة، فهي غير معروفة بصورة قطعية. فقد وجد العديد من المنشآت الحجرية المعروفة، مثل الركامات والدوائر الحجرية والمصائد، ولكن القليل منها تحوي الأدوات المتوقع وجودها في هذه الحالة، ما يصعب معه تحديد ما إذا كانت هذه المنشآت تعود للعصر النحاسي، أو الفترة اللاحقة له، أو حتى تاريخ حديث (Ingraham et al. 1981: 66-68).

وفي المنطقة الجنوبية الغربية، كشف المسح الأثري، الذي أجرته وكالة الآثار والمتاحف، عن مواقع مهمة، وصفت بأنها من العصر الحجري الحديث المتأخر، وفيها من الأدوات الحجرية: رؤوس السهام ثنائية الوجه، والأدوات ورقية الشكل، التي تؤرخ مثيلاتها في الشام والعراق إلى الفترة ما بين ٥٠٠٠

المملكة، مع وجود قواسم مشتركة بينها. ومما لا شك فيه، أن التباين البيئي وتنوع الموارد الطبيعية، كانا أحد أسباب هذه الاختلافات الحضارية. وفي هذا الوقت برزت، أيضاً، حركة الاتصالات الحضارية، داخل أقاليم الجزيرة العربية والشام، بدليل وجود كثير من أنواع المواد الخام في غير أماكن توافرها الطبيعية. ومن السمات البارزة في هذه الفترة المنشآت الحجرية، التي تعد ظاهرة ملفتة لها مغزاها الحضاري الكبير. وتتصل ظاهرة المنشآت الحجرية، في بعض جوانبها، بالانتشار الواسع لممارسة الرعي، الذي أصبح أسلوب حياة لقطاعات كبيرة من السكان، في تاريخ مبكر. إن المنشآت الحجرية ومستوطنات ما بعد العصر الحجري الحديث، لا تزال تنتظر الدراسات المتممة، لكونها تمثل نقطة مفصلية في ربط فجر التاريخ وبدايته، في الجزيرة العربية عموماً.

#### الفنون الصخرية:

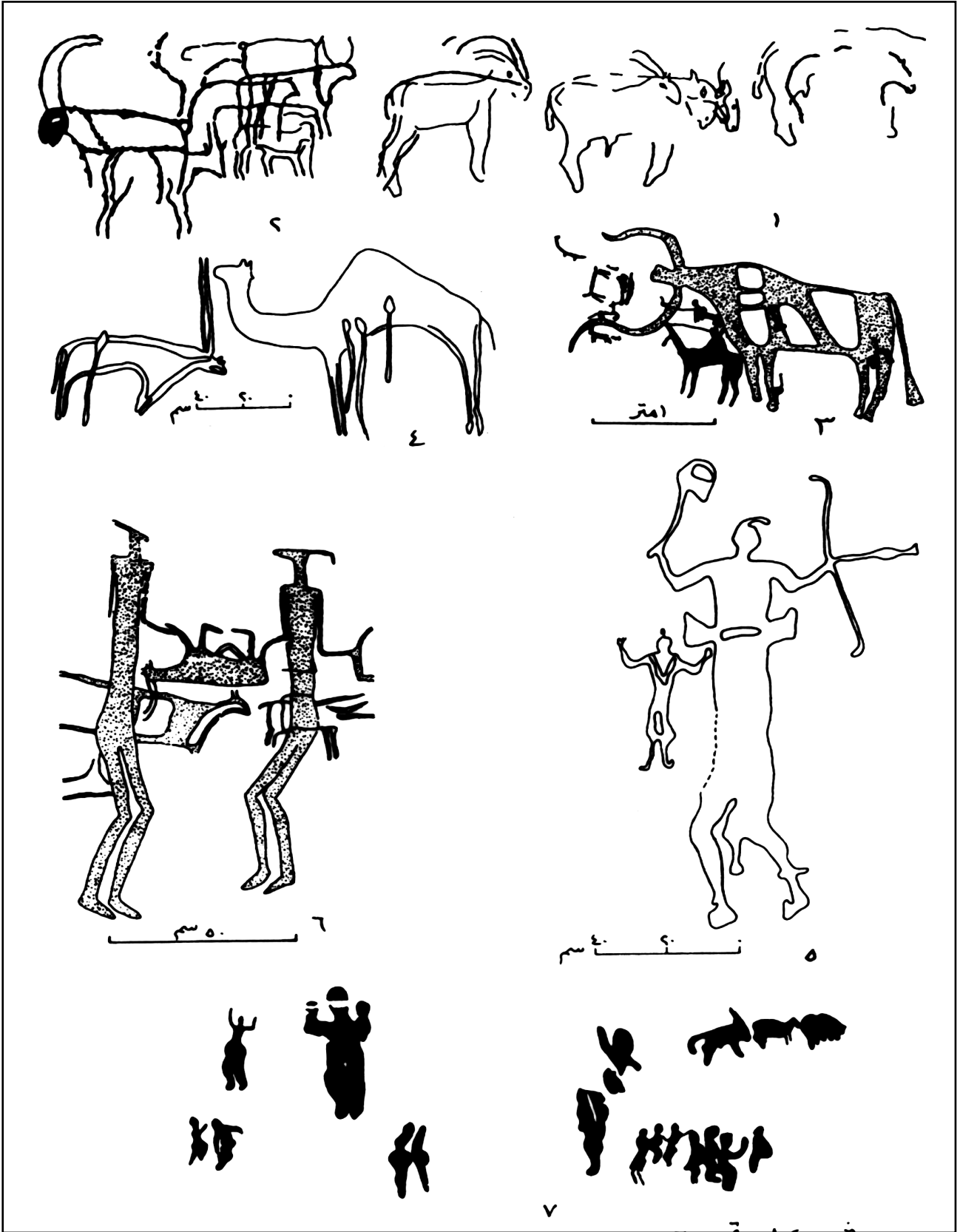
لا يكتمل الحديث عن العصور الحجرية في المملكة، إلا بالتطرق إلى الفنون الصخرية الأكثر بروزاً في آثار المملكة، من ناحية تنوعها وراثتها. ولا يوجد إقليم من أقاليم المملكة، يخلو من الرسوم والنقوش الصخرية، التي تتوافر في بعض المناطق بكثرة ملفتة، تجعل منها سمة من سمات التاريخ الحضاري القديم في المنطقة. وهي على كثرتها، وتنوع موضوعاتها، لم تنل بعد الحظ الوافر من الدراسة والتحليل، على الرغم من الجهود المقدرة، التي بذلت مؤخراً في هذا الشأن. فقد انتبه كثير من المستكشفين، منذ أوائل القرن الميلادي الماضي إلى أهمية الفنون الصخرية في الجزيرة العربية، وعدوها مصدراً من مصادر التاريخ والمعرفة ببعض جوانب حياة السكان والبيئات، التي عاشوا فيها منذ قديم الزمان. ولكن لم تكن متوافرة، لهؤلاء المستكشفين، الوسائل، التي يؤرخون بها هذه الفنون، ولا المنهجية المطلوبة لتصنيفها وتحليل محتوياتها. أعقب ذلك وصول البعثات العلمية الأجنبية، في العقود الأولى من القرن الميلادي الماضي، التي يأتي في مقدمها بعثة فيلبي وريكمانز وليبنز، التي وثقت عدداً كبيراً من مواقع الفنون الصخرية، في مناطق متفرقة من المملكة. وهي المادة التي اعتمد عليها أناتي في دراسته

الأشكال والأحجام والزخارف. كذلك الأواني واسعة الفوهة، والجرار الكبيرة والصغيرة، والفناجين، وأرجل الأواني.

وتشمل الزخارف الخطوط المتموجة، والتتقيط، والأشرطة الرأسية، والأفقية، والتخريم (الشكل ٥). أوضحت التنقيبات، التي أجريت، أن الموقع كان مستوطنة موسمية، قصدتها جماعات الصيادين للاستفادة من الموارد البحرية. وتوجد المعثورات حتى عمق ٣٠ سم فقط تحت السطح، ولم تكتشف بقايا منشآت معمارية.

وقد أجريت اختبارات تأريخ كربون ١٤ على ثلاث عينات من المحار، الموجود بالموقع. وكان متوسط التأريخ بين ١٥٤٠-١٢٠٠ ق. م. ومن ثم يكون الفخار الموصوف هنا من أقدم أنواع الفخار، في جنوبي الجزيرة العربية. وبمقارنة أنواع هذا الفخار وزخارفه، تبين أنه منتشر في أكثر من موقع على ساحل البحر الأحمر، وفي جزيرة فرسان. وفي خارج الجزيرة العربية، يمكن مقارنة فخار سهي بفخار حضارة المجموعة (ج)، المعروفة في بلاد النوبة، وحضارة كرمة المؤرخة لنحو ٢٢٠٠-١٠٠٠ ق. م في شمالي السودان. ويتخذ بعض الدارسين من هذا دليلاً على وجود صلات قوية بين الجزيرة العربية، وشمال شرقي أفريقيا، في الألف الثاني ق. م. ومن المعثورات الأخرى المكتشفة في سهي، أحجار الرحي من الصخر البركاني، والحجر الرملي، والجرانيت؛ وكذلك، كسر أواني الحجر الصابوني. كما عُثر على عدد من قطع النحاس كاملة، مثل المثاقب والحلقات ورؤوس الإبر أو النصال، أو أشكال غير معروفة. ومن الملفت أن النحاس لم يعرف في أماكن أخرى في المنطقة، في مثل هذا التاريخ (Zarins et al. 1981: 20-22, Zarins and Zahrani 1985: 92-97).

ويتضح من مجمل هذه المعلومات، أن فترة العصر الحجري الحديث وما بعده، شهدت تطورات حضارية مهمة تتصل بالتوسع في الاستيطان، في أماكن توافر المياه والموارد الطبيعية، في شتى أرجاء المملكة، خاصة الشمال والشرق والجنوب الغربي. وفي ذلك العصر اتجه بعض السكان إلى استغلال الموارد البحرية في المنطقة الشرقية، وفي ساحل تهامة. وتعمس المعثورات المكتشفة تنوعاً ثقافياً في أقاليم



الشكل ٦: نماذج للرسوم الصخرية: ١، ٢، ٣ (Anati 1968, 1974) ٤، ٥، ٦ (Adams et al. 1977).

الأشكال المرسومة، وكذلك موضوعات الرسم، ما يجعل التصنيف الزمني أمراً صعباً. ويزيد الأمر صعوبة ارتباط الرسوم، أحياناً، بمعثورات أثرية تعود لفترات حضارية مختلفة. ويعتمد الأثاريون، عموماً، في تأريخهم لنماذج هذه الفنون، على المقارنة الشكلية للعناصر المرسومة، وعلى درجة لون غشاء العتق، ثم خطوط الحفر أو النقر، وتراكب الرسومات في السطح الواحد. وقد حاول مجيد خان وضع تسلسل زمني للرسوم الصخرية في منطقة وادي ضم، يبدأ بمرحلة العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر (Epi-Palaeolithic)، الذي تليه مرحلتان منسويتان للعصر الحجري الحديث، ثم فترة العصر الحجري المعدني (٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م)، ثم العصر البرونزي (٢٠٠٠-١٥٠٠ ق.م) والعصر الحديدي نحو (١٥٠٠ ق.م). وفي ظل غياب أدلة مباشرة تعين في تأريخ هذه الرسوم، تظل هذه التقديرات الزمنية مبدئية، على أحسن الفروض (Khan 1993: 103-111).

ومن المتفق عليه، أن النماذج المبكرة للفنون الصخرية توجد في شمالي وشمال غربي المملكة في مواقع، مثل: كلوة، ساكا، الجوف، المليحية وجبة ووادي ضم والحناكية وحائل. فرسومات كلوة على سبيل المثال، تعد الأقدم (٩٠٠٠-٧٠٠٠ ق.م تقريباً) في المملكة، نسبة لأسلوب تنفيذ الرسم بنقر الخطوط الخشنة، ثم تآكل السطح موضع الرسومات، إضافة إلى نوع الأدوات الحجرية الموجودة بالقرب منها. ورسوم الحيوانات والأشكال آدمية بطريقة تخطيطية وتجريدية، ولم تكن متقنة. وقد نُفذت كما اعتمد الرسم على النقر المباشر غير المنتظم، وهو أسلوب وجد في أماكن محدودة في شمالي المملكة، ما يعني أنها تمثل مرحلة أولية، في تاريخ الرسوم الصخرية في تلك المنطقة (Adams et al. 1977: 39-40). وتتغير أساليب الرسم في غالب الفنون، التي تعود لفترة العصر الحجري الحديث في المنطقة، حيث تبرز دقة التفاصيل المتعلقة بحجم الشكل الطبيعي، والخصائص الجسمية للإنسان أو الحيوان (Parr et al. 1978: 47-48) (الشكل ٦).

ومن المكتشفات المهمة في فنون ما قبل التاريخ، ما وجد

المفصلة، عن الفنون الصخرية في الجزيرة العربية. وقد وضع أناتي في هذه الدراسة الأسس المنهجية في هذا الحقل من الدراسات الأثرية في الجزيرة العربية، ولا تزال آراؤه متداولة بين الباحثين (Anati 1968: 3-6).

وفي منتصف الثمانينات من القرن الماضي، أطلقت الوكالة العامة للآثار والمتاحف مشروع البحث الميداني، لتوثيق وتحليل الفنون والنقوش الصخرية في المملكة، ضمن خطة البحث الأثري الشامل. وانتهت أعمال هذا المشروع باكتشاف مئات المواقع، التي تحتوي على ثروة هائلة من الفنون الصخرية، في معظم أرجاء المملكة. وقد أوضحت الدراسات الأولية أنها تعبر عن كم هائل من المعلومات، التي تعيننا في معرفة التاريخ الحضاري لسكان الجزيرة، خلال العصور الحجرية المتأخرة وما بعدها.

وضع أناتي الأسس، التي رأى أنها مناسبة لاعتمادها في تصنيف الرسوم، بعد أن رتبها في جدول زمني، نتيجة لتطبيق تلك الأسس. وتتمثل تلك الأسس في أشكال وقياسات الحيوانات المرسومة، والأفراد، والخطوط، وأسلوب تنفيذ الرسم. وتوصل إلى إنها، من ناحية تاريخية، يمكن تقسيمها إلى عدة مراحل، تبدأ بما سماه: عصر الصيد القديم، ويعني به أقدم النماذج، التي قدر لها تاريخاً يتجاوز ٦٠٠٠ ق.م ويليه عصر الصيد والرعي القديم (٦٠٠٠-٤٠٠٠ ق.م)، ثم عصر الصيد والرعي الوسيط، وفيه ثلاث مراحل (٤٠٠٠-١٠٠٠ ق.م)، وأخيراً ثلاثة عصور تاريخية، آخرها العصر الإسلامي. ويعني أن أناتي لم ينسب شيئاً من هذه الفنون للعصر الحجري القديم الأمر الذي أيدته نتائج المسح الأثري الأخير بصورة عامة. وقد حدد أناتي، من خلال دراسته التحليلية، نحو خمسة وثلاثين أسلوباً، يمكن تمييزها في هذه الرسومات. وعلى الرغم من النقد والمراجعة لبعض استنتاجاته، إلا أن عمله يعد من أميز ما أنجز عن دراسة الفنون الصخرية في الجزيرة العربية (Anati 1968: 5, 153-184, 197, 1974: 30-75, Khan 1993: 30-39).

يغطي الفن الصخري في المملكة العربية السعودية فترة زمنية طويلة. وتتداخل في مسيره تطوره أساليب التنفيذ، ونوع

يعبروا من خلالها عن مشاعرهم ورؤاهم حول الطبيعة، وما تزخر به من معطيات.

### خلاصة

إن استعراض المعلومات المتوافرة عن فترة ما قبل التاريخ، في المملكة العربية السعودية، أبرز عدداً من النقاط، التي تشير إلى أهمية الاكتشافات الأثرية الحديثة، حول ما وجد من مواقع ومستوطنات، بما فيها من مواد أثرية. وكان من نتائج الدراسة المبدئية لهذه المكتشفات، ظهور بعض الإشكاليات العلمية، التي تستحق المتابعة. وانطلاقاً من الوصف والمناقشات في الصفحات السابقة، يمكن إبداء الملاحظات التالية:

١- إن البحث الميداني المنظم للكشف عن مواقع ما قبل التاريخ، ودراسة محتوياتها بمنهجية حديثة، بدأ متأخراً نسبياً، وما أنجز منه كان محدوداً في بعض الحالات، ولم يُعطِ إجابات وافية لما كان مطروحاً من أهداف، كما ذكر الذين قاموا بالمسح الأثري أكثر من مرة. ومن ضمن أسباب القصور أن المسح الأثري لم يغطِّ كل أرجاء المملكة، بل إن الدراسات التي نشرت كانت مبنية على الملاحظات الميدانية، التي لم تعقبها دراسات مفصلة للمعثورات المكتشفة، عدا حالات محدودة. ومما زاد الأمر تعقيداً تلك الصعوبات الواضحة، التي واجهت الباحثين عندما وجدوا أن الغالبية العظمى من مواقع العصور الحجرية توجد موادها على السطح فقط، وهي أساساً أدوات حجرية أو منشآت متصلة بها، وتخلو -في الغالب الأعم- من المواد العضوية، أو الظواهر الدالة على النشاط اليومي للصيادين، مثل مواقع النار أو عمل الأدوات أو غيرها من مواد. ومن ثم يصعب الحديث عن نمط الاقتصاد المعيشي، الذي كان سائداً، ولا أعداد الجماعات، التي تركت هذه الأدوات... الخ. وظل الباحثون محصورين في افتراض ممارسة الصيد والجمع والالتقاط، كنمط للاقتصاد المعيشي، خلال العصر الحجري القديم، أو الزراعة وتدجين الحيوان، خلال العصر الحجري الحديث، دون الحصول على أدلة مباشرة عليه. ولم يكن في الإمكان، أيضاً، الحصول على تواريخ علمية لمعظم هذه المواقع

في المنطقة الجنوبية الغربية، خاصة في المنطقة الواقعة بين وادي الدواسر وبئر حما وبيشة. ويرى زارينز أن الفنون الصخرية، وما تعكسه من أساليب في التنفيذ ومن موضوعات، تماثل ما وجد في شمالي المملكة. وتؤكد في - الوقت نفسه -، صحة التقسيم الذي وضعه أناتي بصفة عامة. ويرى زارينز أيضاً أن أقدم نماذج هذه الفنون هو ما يسمى: بأسلوب الصيادين الأوائل، ويؤرخ لفترة ما قبل العصر الحجري الحديث. وهذا الأسلوب المبكر هو نفسه، الذي وجد في المناطق الشمالية والوسطى والغربية. ويليه في التسلسل رسومات العصر الحجري الحديث، أو ما يسمى: بأسلوب الصيد والرعي، المعروف، أيضاً، في جبة وحائل والحاكية في المنطقة الشمالية؛ بينما يتركز في المنطقة الجنوبية الغربية في بئر حما. ومن الحيوانات التي رسمت، الأبقار الوحشية، ذات القرون الطويلة والقصيرة، والأغنام، والغزلان، والوعول، والطيور. كذلك، تشمل اللوحات رسومات للرجال الصيادين ذوي الرؤوس البيضوية، بالحجم الطبيعي، وتبين تفاصيل الملابس والأسلحة المستخدمة في الصيد، مثل الرماح والعصي (Zarins et al. 1981: 34-35).

وبصفة إجمالية تمدنا نماذج الفنون الصخرية، العائدة لفترة ما قبل التاريخ بموضوعات إنسانية مختلفة، ومضامين متنوعة، تعكس الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والشعائرية والفنية والنشاط اليومي، لجماعات الصيادين والرعاة في تلك الفترة. ويرى في مشاهد الصيد أنواع الحيوانات في البيئة المحلية مثل: الوعول والغزلان والبقر الوحشي والجاموس، وكذلك الأدوات المستخدمة في الصيد، مثل: الحراب والسهام. أما مشاهد القتال، فتوجد فيها الأشكال آدمية وهي تحمل الأقواس والسكاكين والرماح والهرافات. كما تعكس رسومات الأفراد ملامح الوجه، من شوارب ولحي وملابس وأغطية الرأس والزينة، المتمثلة في العقود والدلايات والأسورة. وأما مشاهد الرقص، بما فيها من حركة وتعبير، فتعطي لمحة عن حياة هذه الجماعات اليومية. كما أن رسوم الأشكال غير المعروفة، وبعض الأشكال الأدمية والحيوانية في أوضاع مختلفة، وأبعاد مبالغ في أحجامها، فلا بد أنها انعكاس عن معانٍ ومفاهيم كانت تجيش في صدور أصحابها، أرادوا أن

المزيد والأقدم زمناً، وعندها يتضح الدور، الذي لعبته الجزيرة العربية، بصفة عامة، كمعبر لانتقال الجماعات البشرية المبكرة بين شرقي أفريقيا وآسيا. كذلك، فإن القليل من مواد المواقع الأشولية، التي حظيت بدراسة مفصلة، كشفت بجلاء السمات المشتركة مع المناطق المجاورة. كما عكست نوعاً من الوحدة الحضارية، داخل أرجاء المملكة نفسها.

٤- ليس معروفاً متى انتهت المرحلة الأشولية لتحل محلها مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط، التي عرفت فيها تقنية تجهيز النوى لشطر الشظايا، وعمل الأدوات المشذبة منها. وتقدر بداية هذه الفترة، عادة، بنحو ١٠٠,٠٠٠ عام، قبل الوقت الحاضر. وتستمر في معظم أنحاء المملكة لفترة زمنية طويلة، تشمل الزمن المحدد للعصر الحجري القديم الأعلى في المناطق المجاورة، كبلاد الشام على سبيل المثال. فالصناعة المستيرية، التي عرفت في المملكة، لا تلتقي مع مثيلاتها في شرقي المتوسط أو شمالي أفريقيا، إلا في صفات عامة يصعب معها الحكم بتقارب حضاري، بل هناك ما يشير إلى أن مسيرة تطور حضارات العصور الحجرية، اتخذت اتجاهاً مغايراً في بعض جوانبه عن التسلسل الزمني المعروف، في بقية أنحاء الشرق الأدنى. ولم تظهر التقنية النصلية إلا في، أو بعد، نهاية العصر الحجري القديم، وذلك في حيز جغرافي محدود في المنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية الغربية. وهكذا، فإن استخدام مصطلح: العصر الحجري القديم الأعلى، غير مطابق لواقع الحال، الذي تعكسه المادة الأثرية المعروفة لدينا حتى الآن.

٥- يزداد الأمر تعقيداً عند النظر في فترة العصر الحجري الحديث ومعطياتها الأثرية، إذ تم تعريفها بناءً على تصنيف الأدوات الحجرية ومقارنتها بالمناطق المجاورة. وفيما عدا حضارة العبيد في المنطقة الشرقية، وبعض المواقع في جنوب غربي المملكة، التي لا يتعدى تاريخها الألف الرابع ق.م، فإن مواقع العصر الحجري الحديث تخلو من الفخار. أضف إلى ذلك غياب الأدلة المباشرة لتدجين الحيوان، أو ممارسة الزراعة، في تلك المواقع، التي يظن أنها مبكرة في تاريخها. وهكذا، فإن الانتقال لمرحلة إنتاج القوت ونشوء المستوطنات في المنطقة، يصبح موضوعاً مهماً للأبحاث الأثرية المحلية، خاصة

ما جعل ترتيب حقب ما قبل التاريخ وصناعاتها الحجرية يعتمد أساساً على نوع الأدوات، ومقارنتها الشكلية. ومهما يكن من أمر هذه الصعوبات العملية، فإن قاعدة المعلومات المتوافرة الآن أوضحت بجلاء، مساهمة المنطقة في تطور بواكير الحضارة الإنسانية، بما وجد فيها من مؤشرات أثرية مهمة، تضع المملكة في الخريطة الأثرية العالمية، التي ظلت بعيدة عنها لفترات طويلة. ومن جهة أخرى، يجدر القول إن المملكة العربية السعودية ليست هي البلد الوحيد، الذي تغلب فيها المواقع السطحية، فهي موجودة في أكثر من مكان في المنطقة. وهناك مشكلة أخرى تتعلق بأن عدداً كبيراً من مواقع ما قبل التاريخ في المملكة، تحتوي على مواد تعود لأكثر من فترة حضارية وتكون موجودة في حيز مكاني واحد، ومن ثم يجد المرء نفسه أمام كرونولوجيا أفقية يتطلب فهمها تطبيق مناهج خاصة، لفرز هذه المعطيات وتحليلها.

٢- تمكّن الباحثون من عمل تسلسل لمراحل العصور الحجرية وتقسيماتها في المملكة متبعين في ذلك المنهجية المتعارف عليها في الشرق الأدنى وأوروبا. وقد سبب الالتزام، الصارم أحياناً، بقوائم التصنيف النمطي للأدوات الحجرية المعروف في تلك المناطق، الذي تحدد المرحلة بناءً عليه، في إشكاليات منهجية ومعرفية. فعلى سبيل المثال، اتضح ان استعمال بعض المصطلحات، أو مسميات المراحل الحضارية المعروفة في تلك المناطق، قد يحد من استيعاب التنوع أو الاختلاف، الذي تعكسه الصناعات الحجرية في المملكة. ويبدو أن مراجعة المصطلح، أو أسس التصنيف، ستبقى في مقدمة اهتمام الأبحاث المستقبلية عن العصور الحجرية في المملكة. وبالنظر إلى التسلسل الحضاري، الذي تعكسه الدراسات الحالية، تبرز السمة الأساسية لعصور ما قبل التاريخ، هي ظاهرة الاتساق أو التوافق مع النموذج الحضاري المعروف في العالم القديم أحياناً، أو الابتعاد عنه أحياناً أخرى، عندما تسود تجارب حضارية مختلفة، ذات صبغة محلية.

٣- في فترة العصر الحجري القديم بمرحلته، الأولدوانية والأشولية، تتوافق المعطيات الأثرية في المملكة مع ما هو معروف في أفريقيا وآسيا إذ وجد فيها أدلة تدل على انتشار أقدم السلالات البشرية. كما تشير إلى احتمال اكتشاف

الملح عن الكيفية، التي أفضت بها تجارب العصور الحجرية المتأخرة، إلى ظهور قرى ومستوطنات المدينتيات التاريخية، أو ما يُعرف بالممالك العربية القديمة. وبمعنى آخر، ما دور المنجز الحضاري المحلي، الذي تكوّن خلال العصور الحجرية المتأخرة في ما يليها من أنظمة جديدة في الاستيطان، والاقتصاد المعيشي، وتنظيم المجتمع؟ ذلك نوع من الأسئلة، التي تبدو صعبة، ولكنها، من جهة أخرى، شيقة وذات أهمية معرفية، تجعل البحث الأثاري فيها أكثر جاذبية وجدوى علمية.

إذا وضعنا في الاعتبار تطور المستوطنات الزراعية الصغيرة، بالقرب من السواحل، أو أحواض الأودية الكبيرة، التي تأسست بحلول الألف الرابع ق.م. ودخولها عصر المعادن (النحاس والبرونز). كما تؤكد على ذلك الأدلة الأثرية المباشرة. ومن جهة أخرى، شهدت المملكة تطوراً حضارياً آخر يتمثل في ممارسة نمط اقتصاد الرعي، إذ إن جزءاً من السكان اتجه نحو ذلك، ربما منذ الألف الخامس ق.م. إن آثار الجماعات الرعوية هي الأكثر إشكالية وغموضاً، فبعضها يوجد في المنشآت الحجرية أو القبور المعزولة ومحدودة العدد، التي تملأ فضاء المملكة، وبعضها الآخر في الفنون والنقوش الصخرية، الأكثر ثراءً في آثار المملكة.

٦- إن مسيرة التطور الحضاري وتفاصيله في المملكة، خلال أواخر العصور الحجرية، في هذين الاتجاهين، يتطلب البحث الموجه نحو إيضاح معالم التنوع الحضاري الداخلي، ودور التحولات المناخية والطبيعية، وانعكاساتها على حياة الجماعات السكانية، في ذلك الوقت. ويبقى، أيضاً، السؤال

د. يوسف مختار الأمين: قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود، ص.ب: ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية.

## هامش:

(١) تجري حالياً دراسة ميدانية شاملة لموقع الثمامة الأثري، برئاسة د. عبد الله الشارخ، وعضوية: د. العباس محمد علي، ود. يوسف الأمين (قسم الآثار والمتاحف - جامعة الملك سعود)، بدعم من مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

## المراجع

### أولاً: المراجع العربية:

- المزارعون الأوائل، الأبجدية للنشر، دمشق.
- مصري، عبد الله حسن، ١٩٨٤، "ما قبل التاريخ في شرق المملكة العربية السعودية وشمالها"، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام، إشراف د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري، جامعة الملك سعود.
- وزارة التعليم العالي، ١٤١٩، أطلس المملكة العربية السعودية، الرياض.
- أبو درك، حامد ومراد، عبد الجواد والبراهيم، محمد، ١٩٨٤، "الاستكشافات والتنقيبات الأثرية في موقع الثمامة الذي يرجع تاريخه إلى العصر الحجري الحديث"، أطلال ٨: ٩٧-١٠٣.
- محمد علي، العباس سيد أحمد، ١٤٢١، "ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية"، الدارة ٣٠، السنة ٢٦، ٨٩-١٣١.
- محيسن، سلطان، ١٩٩٤، بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ -

## المراجع

### ثانياً: المراجع غير العربية:

- Adams, R, McC, Peter J. Parr, Muhammad Ibrahim, Ali S. al Mughannum. 1977. "The Preliminary Report on the first Phase of the Comprehensive Archaeological Survey Program" **Atlal: The Journal of Saudi Arabian Archaeology**, 1: 21-40.
- Alsharekh, Abdullah M. 1995. **The Archaeology of Central Saudi Arabia: Investigations of Lithic artefacts and Stone Structures in Northeast Riyadh**. Ph.D Dissertation, University of Cambridge, U.K.
- Alsharekh, Abdullah M. 2002. "An Archaeological Study of Stone Structures in Northeast Riyadh, Saudi Arabia", **Adumatu** 5: 35-66.
- Anati, E. 1968. **Rock Art in Central Arabia, Vol. 1. The 'oval headed' people of Arabia**. Bibliotheque du Museon, Louvain.
- Anati, E. 1974. **Rock Art in Central Arabia. Vol. 4, Corpus of the Rock Engravings**. Bibliotheque du Museon, Louvain.
- Bordes, F. 1961. **Typologie du Palaeolithique Ancien et Moyen**, Bordeaux.
- Bordes, F. 1972. **A tale of Two Caves**. Harper and Row.
- Cornwall, P. B. 1946. "Ancient Arabic: Explorations in Hasa, 1940- 41", **The Geographic Journal**, No. 107.
- Edens, C. 1982. "Towards a Definition of the Western Ar-Rubcal-Khali 'Neolithic'", **Atlal**, 6: 109-123.
- Elamin, Y. M. 1981. **Later Pleistocene Cultural Adaptations in Sudanese Nubia**, B.A.R 114. Oxford.
- Elamin, Y. M. 1987. "The Later Palaeolithic in Sudan in the Light of New Data from the Atbara". In: Tamas Hagg (ed.) **Nubian Culture Past and Present**, Almqvist and Wiksell int., Stockholm. Pp. 31-46.
- Field, H. 1951. "Reconnaissance in Saudi Arabia", **Journal, Royal Central Asian Society**, Vol. 38, 185-97.
- Field, H. 1955. "New Stone Age Sites in the Arabian Peninsula", **Man**, No. 145. P. 136.
- Field, H. 1960. "Stone Implements from the Rubcal-



- Khali", **Man.** No. 30. P. 25.
- Gamble, C. 1993. **Timewalkers: The Prehistory of Global Colonization.** Alan Sutton. U. K.
- Gibert, J., Gibert, LL, Ighesias, A. and Maestro, E. 1998, 'Two Oldowan' assemblages in the Plio-Pleistocene deposits of the Orce region, Southeast Spain', **Antiquity** Vol. 72, No. 275, pp. 17-25.
- Gilmore, M., Mohammed Al-Ibrahim and Abduljawad S. Murad 1982, "Preliminary Report on the Northwestern and Northern Region Survey 1981 (1401)", **Atlal**, 6: 9-23.
- Gowlett, John, 1984. **Ascent to Civilization. The Archaeology of Early Man.** Roxby Archaeology Limited, London.
- Harris, J. 1983. "Cultural beginnings : Pliocene Occurrences from the Afar, Ethiopia", **The African Archaeological Review.** 1. 3-31.
- Ingraham, Michael, L., Theodore D. Johnson, Baseem Rihani and Ibrahim Shatla. 1981. "Preliminary Report on A Reconnaissance Survey of the Northwestern Province (with a note on a brief survey of the Northern Province)", **Atlal**, 5: 59-84.
- Killick, A. Whalen, N, James, N. Morsi, G. and Kamal. M. 1981. Saudi Arabian Archaeological Reconnaissance 1980. Preliminary Report on the Western Province Survey. **Atlal**, 5: 34-59.
- Khan, Majeed. 1993. **Prehistoric Rock Art of Northern Saudi Arabia.** Ministry of Education. Department of Antiquities and Museums. Riyadh.
- Masry, Abdullah Hassan, 1974. **Prehistory in Northeastern Arabia: The Problem of Interregional Interaction.** Field Research Projects, Coconut Grove, Miami, Florida.
- McClure, Harold A. 1971. **The Arabian Peninsula and Prehistoric Populations.** Field Research Project, Coconut Grove, Miami, Florida. Edited by Field, H.
- McClure, Harold A. 1994: "A new Arabian Stone tool assemblage and notes on the Aterian industry of North Africa", **Arabian Archaeology and Epigraphy**, 5: 1-16.
- Oates, J, Davidson, J. E, Kamilli. O. Mckerrell, H. 1977. "Seafaring merchants of Ur?", **Antiquity** 51: 221-34.
- Overstreet, W. C. 1973. **Contributions to the Prehistory of Saudi Arabia: Vol. I Field Research Projects.** Coconut Grove, Miami, Florida.
- Parr, Peter J., Juris Zarins, Muhammed Ibrahim, John Waechter, Andrew Garrard, Christopher Clarke, Martin Bidmead and Hamad al-Badr. 1978, "Preliminary report on the second phase of the northern province survey 1397/1977", **Atlal**, 2: 29-50.
- Philby, H. St. J. "Rubcal-Khali", **Geographical Journal**, No. 82. P. 1.
- Redman, C. L. 1978. **The Rise of Civilization. From Early Farmers to Urban Society in the Ancient Near East.** Freeman and Co.
- Rice, M. 1994. **The Archaeology of the Arabian Gulf.** Routledge, London.
- Roaf, M., Galbraith, J. 1994. "Pottery and P-values: 'Seafaring merchants of Ur?' re-examined", **Antiquity** 68: 770-83.
- Rose, Marks, 2002. "Skulls make headlines", **Archaeology**, September/October: 10-11.
- Smith, P. L. and Maranjian, G. 1962. "Two 'Neolithic' Collections from Saudi Arabia", **Man.** No. 17. P. 21.
- Thomas, B. 1932, **Arabia Felix.** New York.
- Whalen, N., Killick, A., James, N., Marsi, G. and Kamal, M. 1981. "Preliminary Report on the Western Province Survey", **Atlal**, 5: 43-85.
- Whalen, N., Sindi, H., Wahidah, G. and Siraj, J. 1983. "Excavation of Acheulian Site Near Saffaqah in al-Dawadmi (1402/1982)", **Atla**, 7: 9-21.
- Whalen, N., Siraj- Ali, J, and Davis Wibon. 1984. "Excavation of Acheulien Sites Near Saffaqah, Saudi Arabia, 1403/1983", **Atlal**, Th 8: 9-24.
- Whalen, N., Siraj-Ali, J., Sindi, H. and Pease, D. 1986. "A Lower Pleistocene Site Near Shuwayhityah in Northern Saudi Arabia", **Atlal**, 10: 94-101.
- Whalen, N., Siraj-Ali, J. Sindi, H., Pease, D. and Baderin, M. 1988. " A Complex of Sites in the Jeddah-Wadi Fatimah Area", **Atlal**, 11: 77-85.
- Whalen, N., Davis, W., and Pease, D. 1989. "Early Pleistocene Migratians into Saudi Arabia", **Atlal**, 12: 59-75.

Zarins, J., Ibrahim, M., Potts, D. and Edens, C. 1979. "Preliminary Report on the Survey of the Central Province 1978", **Atlal**, 3: 9-42.

Zarins, J., Murad, A. and A;-Yaisk, kh. 1981. "The Second Preliminary Report on the Southwestern Province", **Atlal**, 5: 9-42.

Zarins, J., Rahbini, A. Aziz, and Kamal, M. 1982. "Pre-

liminary Report on the Archaeological Survey of the Riyadh Area", **Atlal**, 6: 25-38.

Zarins, J. and Zahrani, A. 1985. "Recent Archaeological Investigations in the Southern Tihama Plain. The Sites of Athar and Sihi", **Atlal**, 9: 65-107.

Zeuner, F. E. 1954. "Neolithic Sites from The Rubcal-Khali, Southern Arabia", **Man**, No. 209. P. 133.